أبو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي

إشكالِيَّة النسَبِ والسيرةِ

ابو الطيب المتنبي

إشكالية النسب و السيرة

تأليف : أحمد الشطري

الصنف: سيرة ذاتية

الطبعة: الاولى

سنة الطبع : ٢٠٢٤

الترقيم الدولي : ISBN: ٩٧٨-٩٩٢٢-٨٧٨٤-١-٦

رقم الإيداع في دار الكتب و الوثائق ببغداد (   ) لسنة ٢٠٢٤

تصميم الغلاف والاخراج الداخلي : سوسن كاظم الشويلي

الناشر: دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان: بغداد – شارع المتنبي – مجمع العهد الجديد – الطابق الاول

الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٧١٤٣٤٣٦٩٢ \ ٠٧٧٢٩٢٤٧٠٨٨

alwarsha٢٠١٨@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة اصدار هذا الكتاب او أي جزء منه او تخزينه في نطاق استعادة معلومات او نقله بأي شكل من الاشكال دون اذن خطي مسبق من الناشر , ان الاراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار الورشة الثقافية

أبو الطيِّبِ المُتنبِّي

إشكالِيَّة النسَبِ والسيرةِ

احمد الشطري

الوراقة
دار للطباعة والنشر

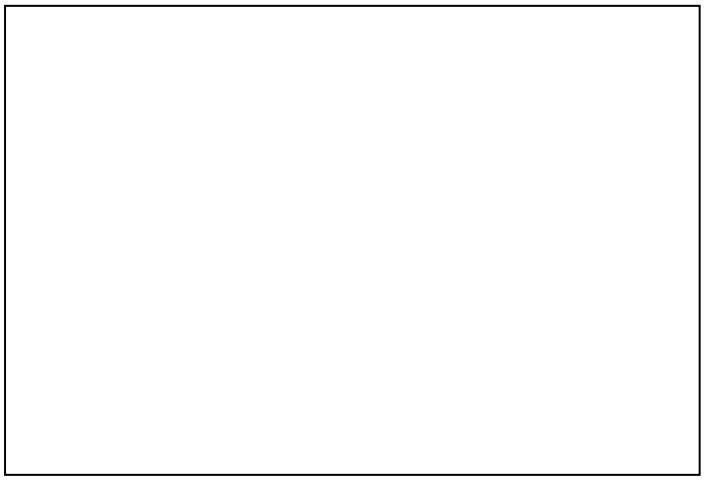

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ( ) لسنة ٢٠٢٤

الإهداء

إلى روح والدي وهو يتهجد الليل ويكدح النهار طمعا بمرضاة الله،

وإيمانا بوحدانيته.

إلى والدتي التي رسمت بصبرها وحنانها أروع صورة للأم المعطاء.

إلى زوجتي وأولادي الذين احتملوا انشغالي عنهم،

واعتصموا بالصبر محبة وبِرّاً بي.

المقدمة

منذ أن تلمست خطواتي الأولى في كتابة الشعر وعلاقتي بالمتنبي تتوطد يوما بعد آخر، إعجابا بشاعريته، وحيرة بالغموض الذي يكتنف شخصيته، ولم تكن الروايات التي قرأتها في المصادر التي تناولت سيرته، قادرة على إضاءة الفضاء الضبابي المحيط بحياته وتفاصيلها، وقد أثارت البحوث والفرضيات المتأخرة التي طرحت حول شخصيته ونسبه رغبة في نفسي، أن أبحث في مدى صحة الروايات التي وردت في المصادر القديمة، من حيث المتن والسند، ثم أعود لما طرح من فرضيات تتعلق بجوانب حياته، افترضها بعض الباحثين المتأخرين، استنادا لقراءاتهم للروايات، وتحليلهم لشعر أبي الطيب، وفقا لمناهج معينة، فوجدت أنّ بعض ما طرح يتفق مع رؤيتي وتحليلي لشخصية المتنبي من خلال ما افترضت صحته من بعض ما ورد في الروايات وما يمكن أن يُستشف من شعره، أما البعض الآخر من الفرضيات، فقد رأيت أن فيه نوعا من التأويل الذي لا ينسجم مع الصورة التي تظهر أمامنا لشخصية المتنبي، من خلال رؤية ما ورائية يمكن أن تقربها لنا الكثير من أبيات قصائده، لو تمعنا فيها، بعيدا عن محاولة تحريفها باتجاه افتراض مسبق متأثرا بنوازع وآراء، لا نملك إلّا أن نحسن الظن بما ورائها من نوايا ومقاصد، سواء من باحثين عرب أم مستشرقين.

ولا نزعم أنّ ما أوردناه من آراء هي الحقيقة التي لا غبار عليها، وإنما هي وجهة نظر عززتها قراءة متحررة من كل افتراض مسبق، وهي محاولة للبحث عن الحقيقة المتخفية وراء حجب ضبابية، ساهم في حجبها بعض المؤرخين لدوافع مختلفة، كما ساهم الشاعر ذاته في تكثيف تلك الحجب بقصدية واضحة لغاياته ومطامحه الشخصية.

وبحثنا هذا ينقسم إلى ثلاثة فصول، خصص الفصل الأول منه لما يخص حياته في المصادر الأولى وقد أوردنا فيها أهم الروايات الواردة في تلك المصادر مع مناقشة سندها ومتنها وأثبتنا رأينا في مدى صحتها وتحريفها وفق أسباب منطقية وتاريخية.

أما الفصل الثاني فقد ناقشنا فيه بعض الفرضيات والآراء لخمسة باحثين: هم الأستاذ عبد الغني الملاح، والأستاذ محمود محمد شاكر أبو فهر، والدكتور طه حسين، والمستشرق الدكتور ريجيس بلاشير ،والمستشرق الدكتور لويس ماسينيون، كما أوردنا في معرض عرضنا لتلك البحوث بعض ما اختلفنا فيه مع الدكتور عبد الوهاب عزام. وخصص الفصل الثالث لرسمنا لمخطط حياة أبي الطيب المتنبي ونسبه وفق ما نراه. ونحن بعد ذلك نحمد الله ونشكره على عظيم مننه وسوابغ نعمه، ونسأله التوفيق ودوامه، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

أحمد الشطري

٢٠١٩/٨/١٥

الفصل الأول

المتنبي في المصادر الأولى

تمهيد

لم يشغل المهتمون بالشعر في عصر المتنبي وما تلاه بمثل ما شغلوا به، سواء كان ذلك عن حب و إعجاب أم عن حقد وبغض وحسد، أم بين هذا وذلك. وقد وعى المتنبي ذلك وعرف قدر نفسه، فتسامق فخرا وتاه كبرا، فراح يبث في قصائده تعظيمه لشأنه و فخره بنفسه، حتى في مدائحه لمن مدحهم، وهو أمر لم يعرف لغيره كما عرف له، ولم يقلل ذلك من تقريب الأمراء والملوك له وتوددهم إليه، اعترافا بما ادعاه، وتقريرا لما حكاه، بينما راح منافسوه وأعداؤه يمتلئون غيضا منه، وتغلي قلوبهم حقدا عليه وحسدا له، حتى وصف نفسه قائلا:

أنا تربُ الندى و ربُّ القـوافي

وسمامُ العدا وغيضُ الحسودِ

وقال أيضا:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

و أسمـعت كلماتي من به صممُ

و يبدو أن هذه (الأنا) التي امتلأ بها ديوانه، هي أحدى مكونات شخصيته الإشكالية، وهي انعكاس لمشاعر الإحباط التي واجهت طموحه الثوري الذي وئد في باكورة عنفوانه. فراح محاولا تعويضه بثورة الكلمة وكرسي سلطانها، وقد تهيأ له ذلك بأفضل ما يكون، حتى غدا مطمع كل راغب بالشهرة والمجد من أمراء وملوك مغدقين عليه بالمال والجاه، وعومل بما لم يعامل به شاعر من قبله ولا من بعده، فأنشد الأمراء (جالسا)[1]، و(أجلسه ممدوحه على سريره وقعد بين يديه)[2]. بينما راح أعداؤه

[1] ينظر الصبح المنبي عن حيثية المتنبي - الشيخ يوسف البديعي-ت- مصطفى السقا واخرون- ط٣، دار المعارف، القاهرة - ٧١ وينظر بغية الطلب في تاريخ حلب- الصاحب كمال الدين عمر بن احمد بن ابي جرادة(ابن العديم)ت- د. سهيل زكار- دار الفكر-بيروت-ج٢ ص٦٥٨

[2] ينظر الصبح المنبي- ٣٣٠

يتربصون به حينا بالقتل، وحينا بالوشاية لدى السلطان، وحينا بزرع الفتنة بينه وبينهم، وحينا بتزوير تاريخه و الحط من شخصيته، سواء بتلفيق حكايات تلمزه في نسبه أم في أخلاقه أم في دينه، وخذ مثلا عن ذلك فقد "روي أن ابن العميد قبل أن يزوره المتنبي ويمدحه. كان خائفا ألّا يفعل ترفعا فقال:(إنه ليغيظني أمر هذا المتنبي، واجتهادي أن أخمدَ ذكرَهُ، وقد ورد عليَّ نيف وستين كتابا في التعزية (وكانت أخته قد ماتت) ما منها إلّا وقد صُدِّرَ بقوله:

طَـــوى الجزيـــرَةَ حتّى جاءَنـــي خَـــبَرٌ

فَزِعْتُ فيـــهِ بـــآمـــالي إلى الكَـــذِبِ

حـــتّى إذا لَـــمْ يَـــدَعْ لي صِـــدْقُـــهُ

أَمَلاً شَرِقْتُ بالدَّمْعِ حَتّى كادَ يَشْرِقُ بي"[1]

غير أنه بقي شامخا حتى آخر حياته. لم تنل منه سهام الحقد والحسد، ولم تقلل من هيبته مزاعم المغرضين، وقيل: أنّه لما زار ابن بويه - وهو حينئذ يتحكم بدولة المسلمين وخليفتها- اشترط عليه أن لا يقبل الأرض بين يديه ولا ينشده إلّا جالسا فقبل شرطه.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة التي وصلها المتنبي، ومدى تقدير الناس لشعره، وإكبارهم لشخصه، كما يدل أيضا على مدى اعتداد المتنبي بنفسه وكبريائه، ولقد تقَوَّلَ من تقوَّلَ عليه واتهمه بالتكسب في الشعر، وفي هذا الأمر جانبان: الأول إن الشعر كان وسيلة عيشه، والثاني إنه كان يصبو إلى تحقيق هدف معين وكانت له مبادئه التي ينطلق منها في مدائحه ولم يكن متدنيا، ولو كان كذلك لما ترفع عن مدح الذين كانوا يتوسلون إليه من الأمراء والوزراء والقواد، ولنا في امتناعه عن مدح اسحاق بن ابراهيم بن كيغلغ دليل على ذلك، رغم إن إسحاق قد سد عليه المنافذ، وحاصره في طرابلس أملا في مدحه بعدما اعتذر له المتنبي بأنه حلف أن لا يمدح احدا

[1] ينظر الصبح المنبي - ص ١٤٦-١٤٧

إلى مدة، ثمَّ هجاه بأفحش هجاء ونعته بأقذع النعوت[1]، كما امتنع عن مدح طاهر بن الحسين العلوي في بادئ الأمر ولولا وساطة الأمير أبي محمد الحسن بن عبد الله بن طغج[2] لما مدحه. وكذلك رفضه مدح الوزير أبي منصور نصر بن جعفر المهلبي. وهو الأمر الذي شقَّ على المهلبي فأغرى به شعراء العراق، حتى نالوا من عرضه، وتباروا في هجائه فلم يجبهم[3] ترفعاً. وهو القائل:

أفي كـلَّ يومٍ تحتَ ضبني شويعرٌ
ضعـــيفٌ يقاويني قصيرٌ يطاولُ
وأتعب مـــن ناداك من لا تجيبه
وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ[4]

ولم يقلل هجاء الهجّائين، ولا ادعاءات المدعين، ولا اتهامات المتهمين من شأن المتنبي، بل ظل مثل النار كلما صُبَّ عليها الزيت تزداد أوارا، ومثل الضوء كلما ازداد الظلامُ حلكةً زاد توهجُهُ. وبقي هو (الصائح المحكي) كما يصف نفسه:

ودع كـلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فإنني
أنا الصائحُ المحكيّ والآخرُ الصدى[5]

[1] ينظر شرح ديوان ابي الطيب المتنبي المتنبي(معجز احمد) ابو العلاء المعري-ت-د. عبد المجيد دياب- ج١-دار المعارف-ط٢-١٩٩٢-ص٤٥٨

[2] ينظر المصدر السابق ج٢ ص ٤٢٩

[3] الصبح المنبي- ص ١٤٣

[4] ينظر الصبح المنبي- ص ١٤٤و١٤٥

[5] معجز أحمد- ص ٤٨٥

ومع الفتى الذي عرفته العواصم بمعناها الحالي لا بمعناها القديم فقط نبدأ رحلتنا تاريخيا:

لتعلمَ مصرُ ومن بالعراقِ

ومن بالعواصمِ أني الفتى[1]

المتنبي نسبا

أورد من تحدثوا عن المتنبي أو جمعوا قصائده أو شرحوا ديوانه سلاسل مختلفة لنسبه سنعرض لما اشتهر منها:-

قال ابن جني ت (٣٩٢هـ) في فسره وهو من معاصريه وأصدقائه[2] والقاضي الجرجاني ت(٣٩٢هـ) في وساطته[3]: " هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي"

وجاء في وفيات الأعيان لابن خلكان ت(٦٨١هـ) :إنه "ابو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي،... وقيل هو احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار."[4]

وقال ابن الأثير ت(٧٧٤هـ) في البداية والنهاية :إنه " أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي، كان أبوه يعرف بعيدان السقا وكان

[1] شرح الواحدي لديوان المتنبي ت-د. ياسين الأيوبي ود. قصي الحسين- ط١، دار الرائد بيروت- ١٩٩٩ ص ١٨٨١

[2] الفسر- ابو الفتح عثمان بن جني النحوي- ت- د. رضا رجب- دار الينابيع- دمشق- ج١-ص ٣

[3] الوساطة بين المتنبي وخصومه- القاضي الجرجاني- ت- محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي- مطبعة عيسى البابي-١٩٦٦ص٣

[4] وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان- ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان- ت- د. احسان عباس- ج١- دار صادر، بيروت-١٩٧٨-ص ١٢٠

يسقي الماء لأهل الكوفة على بعير له، وكان شيخا كبيرا،... وقد كان المتنبي جعفي النسب صلبيبة منهم، وقد ادعى... أنه علوي"[١]

وقال العكبري ت(٦١٦هـ) في التبيان[٢] و الواحدي ت(٦٦٨هـ) في شرحه لديوانه بأنه:" أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي"[٣]

وقال البديعي ت(١٠٧٣هـ) في الصبح المنبي" هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي... وكان والده يعرف بعيدان السقاء"[٤]

وقال ابن العديم ت(٦٦٠هـ)" قرأتُ بخط عبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الجوع الوراق المصري: سألت أبا الطيب المتنبي أحمد بن الحسين بن الحسن عن مولده ومنشأه: فقال ولدت بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في كندة، ونشأت بها، ودخلت مدينة السلام، ودرت الشام كله سهله وجبله.

أخبرنا علي بن أيوب بن الساربان قال: ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبي بالكوفة..."[٥]

وذكره الأنباري ت(٥٧٧هـ) صاحب نزهة الألباء في طبقات الأدباء بأنه" أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي" ثم نقل عن أبي الحسن محمد بن يحيى العلوي قوله: كان المتنبي وهو صبي، ينزل في جواري بالكوفة، وكان يعرف أبوه بعبدان السقا، يستقي لنا ولأهل المحلة،... كان عبدان والد أبو الطيب يذكر إنه جعفي، وكانت جدة المتنبي همدانية، صحيحة النسب، لا أشك فيه، وكانت جارتنا، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات، وذكر القاضي أبو الحسن ابن أم شيبان الهاشمي الكوفي: أن عبدان كان

[١] البداية والنهاية- الحافظ ابو الفداء ابن كثير- ج ١١- مكتبة المعارف، بيروت- ١٩٩١- ص ٢٥٦

[٢] التبيان في شرح الديوان- ابو البقاء العكبري-ت- مصطفى السقا وآخرون- دار المعرفة-بيروت- ج١- المقدمة

[٣] شرح الواحدي -ص ٨٥

[٤] الصبح المنبي - ص ٢٠

[٥] بغية الطلب في تاريخ حلب- ص ٦٤٤

جعفيا صحيح النسب. قال: وكان المتنبي لما خرج إلى كلب، وأقام فيهم، ادعى أنه علوي"[1]

وسأكتفي بما أوردته من مصادر نسبه ففيها الغنى عما سواها، ولا أجد في غيرها إضافة تستحق الذكر.

والملاحظ إن أغلب المصادر إن لم نقل جميعها اتفقت على أن اسم والده الحسين فيما ذكرت بعضها أنه جعفي، وإن معظم الخلاف كان في اسم جده وما علاه. و القول أن مهنة والده (سقاء) فيها كلام سنعرض له في حينه. وأن عيدان أو عبدان لقب غلب عليه وليس اسما. وإنه -أي المتنبي- ادعى أنه علوي النسب، كما ذكر ذلك بعضهم.

[1] نزهة الألباء في طبقات الأدباء-أبو البركات كمال الدين الانباري-ت- ابراهيم السامرائي-مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء-ط٣-١٩٨٥-ص١١٩-١٢٠

ولادته و نشأته

ولادته :

اتفقت جميع المصادر أن المتنبي ولد في عام ٣٠٣ هـ، في الكوفة وما خالف هذا فهو شاذ.

ومنه ما ذكره ابن كثير حيث يقول:" كان مولد المتنبي في الكوفة سنة ست وثلاثمائة ونشا بالشام بالبادية".[١]

بينما جاء في وفيات الأعيان" ومولده في سنة ثلاث و ثلثمائة في الكوفة في محلة تسمى كندة فنسب اليها".[٢]

وجاء في اليتيمة للثعالبي ت(٤٢٩هـ):" ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاثمائة وثلاث".[٣]

و جاء في شرح الواحدي للديوان" ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي بالكوفة في سنة ثلاث و ثلثمائة ونشأ بالشام والبادية"[٤]

وجاء في بغية الطلب" أخبرني صديقنا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي مولى الحموي البغدادي رأيت ديوان أبي الطيب المتنبي بخط أبي الحسن علي بن عيسى الربعي قال في أوله: الذي أعرفه من نسب أبي الطيب أنه: أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي، وكان يكتم نسبه، وسألته عن سبب طيه ذلك؟ فقال: إني أنزل دائما بعشائر وقبائل من العرب، ولا أحب أن يعرفوني خيفة أن يكون لهم في قومي تره، هذا الذي صح عندي من نسبه.

---

[١] البداية والنهاية- ص ٢٥٦

[٢] وفيات الأعيان -ج١-ص ١٢٣

[٣] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر- ابو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري-ت-مفيد محمد قميمة-ج١-دار الكتب العلمية-بيروت-ط١-١٩٨٣- ص ١٤١

[٤] شرح الواحدي لديوان المتنبي- ت-د. ياسين الايوبي ود. قصي الحسين-دار الرائد العربي-بيروت-ج١ط١-١٩٩٩- ص٨٥

قال: واجتزت أنا وأبي الحسن محمد بن عبيد الله السلامي الشاعر على الجسر ببغداد وعليه من جملة السؤال رجل مكفوف فقال لي السلامي: هذا المكفوف أخو المتنبي، فدنوت منه فسألته عن ذلك، فصدقه، وانتسب هذا النسب، وقال: من هاهنا انقطع نسبنا.

وكان مولده بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة، وأرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله.[١]

نشأته

جاء في بغية الطلب:" قال الخطيب: أخبرنا علي بن المحسن التنوخي عن أبيه: قال: حدثني أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي الزيدي قال: كان المتنبي وهو صبي ينزل في جواري بالكوفة، وكان يعرف أبوه بعيدان السقاء، يستقي لنا ولأهل المحلة، ونشأ هو محبا للعلم والأدب فطلبه، وصحب الأعراب في البادية، فجاءنا بعد سنين بدويا قحا، وقد كان تعلم القراءة والكتابة فلزم أهل العلم والأدب، وأكثر من ملازمة الوراقين، فكان علمه من دفاترهم، فأخبرني وراق كان يجلس إليه يوما قال لي: ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عيدان قطُّ[٢].

وجاء في اليتيمة "أن أباه سافر إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها، ويسلمه في المكاتب، ويردده في القبائل... حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع"[٣]

وفي وفيات الأعيان" هو من أهل الكوفة، وقدم الشام في صباه وجال في أقطاره"[٤]

---

[١] بغية الطلب- ص٦٤٠و٦٤١

[٢] المصدر السابق- ص٦٤٢

[٣] يتيمة الدهر- ص١٤١

[٤] وفيات العيان- ص ١٢٠

وجاء في طبقات الأدباء" أنه ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة، ونشأ بالشام وأقام بالبادية"[1]

وتعليقا على ما تقدم يبدو أن معظم الروايات اتفقت على محل مولده، وذكر بعضها أنّ نشأته في الشام، ولكن لم يحدد أحد من الرواة على سبيل اليقين متى هاجر من الكوفة إلى الشام. وقد ذكرت أغلب المصادر أن دراسته في المكاتب كانت في الكوفة وأنه خرج إلى البادية ليأخذ اللغة من أهلها.

والدهُ

مما يلاحظ من الروايات التي ذكرناها أن الجميع يكاد يتفق على أن اسم والده هو (الحسين) أما عيدان أو عبدان السقاء فهو لقب وقد قيل أنه من صنع المهلبي و من سار على خطاه بغضا بالمتنبي. والظاهر أن المتأخرين نقلوه تلقفا لما اشتهر ، والدليل على ذلك أن لا أحد من معاصريه في الكوفة وفي غيرها لقبه بذلك عدا هؤلاء، أما ما نقل عن أبي الحسن محمد بن يحيى العلوي فهو أحد ثلاث: أما أن الرواية موضوعة ولا أساس لها، وأما أن في الرواية تحريف أو زيادة، أو أن محمد بن يحيى العلوي الزيدي سار على خطا المهلبي في محاولة الحط من الرجل، ومحمد هذا ولد في سنة ٣١٥ كما جاء في تاريخ بغداد. أي أن عمر المتنبي كان اثنا عشر عاما عند ولادته، ويحتمل أن ما نقله عن الوراق -إن صح- هو نص ما سمعه، وهو ما اشتهر بعد وفاته أو قبلها بسنتين. والملاحظ أن مصدر الرواية هو علي بن المحسن التنوخي كما ذكر ابن العديم ت(٦٦٠هـ) في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب، وكذلك الرواية التي نقلها عن القاضي أبي الحسن بن أم شيبان الهاشمي الكوفي. "قال التنوخي: قال أبي: فاتفق مجيء المتنبي بعد سنين إلى الأهواز منصرفا من فارس، فذاكرته بأبي الحسن فقال تربي وصديقي وجاري بالكوفة، وأطراه ووصفه... قال: واجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أبي الحسن بن أم شيبان الهاشمي الكوفي وجرى ذكر المتنبي فقال:

[1] نزهة الألباء في طبقات الأدباء – ص ٢١٩

كنت أعرف أباه بالكوفة شيخا يسمى عيدان، يسقي على بعير له، وكان جعفيا صحيح النسب"[1].

والدته وجدته

لم تذكر المصادر شيئا عن والدة المتنبي، بل إن جل الذكر كان لجدته ونسبها وخصالها. وجدته هذه همدانية صحيحة النسب كما ذكرت ذلك المصادر التي ذكرناها في ما سبق وإنها من صالحات نساء الكوفة. وقد وصفها المتنبي بأنها ملأت عزما وإنها (بنت أشرف والد) وهو من مبالغات المتنبي.

لقبه وأخبار ادعائه النبوة:

وقد كان لقب (المتنبي) محل خلاف وتأويل وتساؤل عند من عاصروه أو ترجموا له فقد ذكر بعضهم وربما كانوا من المتحاملين عليه أو هم مجرد ناقلين للأخبار كأبن كثير وغيره: "إنّه ادعى أنّه نبي يوحى إليه"[2] وذكر صاحب كتاب المنبي بعد أن أورد عدة أخبار لادعائه النبوة أنّه سئل: "على من تنبأت؟ قال على الشعراء. فقيل لكل نبي معجزةٌ، فما معجزتك؟ قال: هذا البيت:

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى

عــدُوّاً له مــا من صداقته بدُّ

وحكى أبو الفتح عثمان بن جني قال: سمعت أبا الطيب يقول: إنما لقبت بالمتنبي لقولي:

أنــا ترب النـــدى و رب القوافي

وسمام العدا و غيض الحسودِ

[1] بغية الطلب- ص ٦٤٣

[2] البداية والنهاية- ص ٢٥٧

أنـــا في أمـــة تـــداركها الله

غـــريـــبٌ كصالـــح في ثـــمودِ

مـــا مُقـــامي بأرضِ نحـلة[1] إلّا

كمقـامِ المسيـــحِ بين اليهـــودِ[2]

و الظاهر أن لا أحد حتى من الذين عاصروه -كما ينقل عنهم- يستطيع الجزم بالأسباب التي جعلت هذا اللقب لصيقا به وقد ذكروا بأنّه لا يحب سماعه، فمن أين جاء إذن؟ ومتى لحق باسمه؟ وهل هو من النُبُوَّةِ أم من النَبْوَةِ كما ذكره أبو العلاء المعري في رسالته إذ قال: حُدثتُ أنه كان إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال: هو من النَبْوَةِ أي المرتفع من الأرض"[3]

"وقال [أبو الحسن علي بن عيسى] الربعي: وقال لي المتنبي: كنت أحب البطالة وصحبة البادية، وكان يذم أهل الكوفة لأنهم يضيقون على أنفسهم في كل شيء حتى في الأسماء فيتداعون بالألقاب، ولما لقبت بالمتنبي ثقل علي ذلك زمانا، ثم ألفته."[4]

ومما جاء في رسالة ابن القارح:" أن المتنبي أخرج ببغداد من الحبس إلى ((مجلس أبي الحسن، علي بن عيسى الوزير- رحمه الله)) فقال له: أنت أحمد المتنبي؟ فقال: أنا أحمد النبي وكشف عن بطنه فأراه سلْعة فيه وقال: هذا طابع نبوتي وعلامة رسالتي. فأمر بقلع جُمْشُكهِ وصفعه به خمسين وأعاده إلى محبسه".[5]

قال ابن العديم في تعليقه على هذه الرواية" طالعت التاريخ المشار إليه فقرأت فيه حوادث اثنين وثلاثمائة ... قال: وفيها جلس الوزير علي بن عيسى للنظر في المظالم،

---

[1] وفي رواية اخرى (ارض نخلة)

[2] الصبح المنبي- ص ٦٥و٦٦

[3] رسالة الغفران لأبي العلاء المعري- ت، د. عائشة عبد الرحمن ط٩- دار المعارف- بلا- ص ٤١٨

[4] بغية الطلب- ص ٦٤١

[5] رسالة الغفران- ص ٢٩و٣٠

وأحضر مجلسه المتنبي وكان محبوسا ليخلي سبيله، فناظره بحضرة القضاة والفقهاء، فقال: أنا احمد النبي ولي علامة في بطني خاتم النبوة، وكشف عن بطنه وأراهم شبيها بالسلعة على بطنه، فأمر الوزير بصفعه فصفع مائة صفعة، وضربه وقيده، وأمر بحبسه في المطبق، فبان لي أن أبا الحسن علي بن منصور الحلبي رأى في تاريخ ابن أبي الزهر والقطربلي ((ذكر أحمد المتنبي)) فظنه أبا الطيب أحمد بن الحسين، فوقع في الغلط الفاحش لجهله بالتاريخ، فإن هذه الواقعة مذكورة في هذا التاريخ في سنة اثنتين وثلاثمائة، ولم يكن المتنبي ولد بعد، فأن مولده على الصحيح في سنة ثلاث وثلاثمائة ... وأبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب بن القطربلي ومحمد بن أبي الأزهر ماتا جميعا قبل أن يترعرع المتنبي ويعرف.

وهذا المتنبي الذي أحضره علي بن عيسى هو رجل من أهل أصبهان تنبأ في أيام المقتدر يقال له أحمد بن عبد الرحيم الأصبهاني، ووجدت ذكره هكذا منسوبا في كتاب عبيد الله بن أحمد بن طاهر الذي ذيل به كتاب أبيه في تاريخ بغداد"[1]

وواضح أن تلك الرواية لا تتناسب مع تاريخ وزارة علي بن عيسى هذا، فقد كان وزيرا للمقتدر العباسي سنة ٣٠١هـ، وخلع من الوزارة سنة ٣٠٤ هـ، ثم أعيد إليها، وتنازل عنها سنة ٣١٦هـ[2]، وتلاه على الوزارة ست وزراء حتى مقتل المقتدر سنة ٣٢٠هـ[3] وعلى هذا فإن عمر أبي الطيب في وزارته على أكثر تقدير اثنا عشر عاما، فكيف أدعى النبوة وهو بهذا العمر!؟

والظاهر أن هذا اللقب قد لحقه بعد أن سُجن في الشام بسبب ما قيل من ادعائه أنه علوي ثم ادعائه أنه نبي في حكاية ذكرتها بعض المصادر:

جاء في اليتيمة" وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوما من رائشي نبله (كناية عمن يقوى بهم ساعده)، على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده. وحين

---

[1] بغية الطلب- ص ٦٥٣و ٦٥٤

[2] ينظر البداية والنهايةج١١- ص١٥٨

[3] ينظر مروج الذهب ومعادن الجوهر- للمسعودي – ج ٤ –المكتبة العصرية- صيدا، بيروت- ط١- ٢٠٠٥- ص ٢٤٢

كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة، ورفع إليه ما هم به من الخروج، فأمر بحبسه وتقييده، وهو القائل في الحبس قصيدته التي أولها [من المتقارب]:

أيــا خدد الله ورد الخدودِ و قد قدودُ الحسانِ القدودِ

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به:

أمالك رقي، ومن شأنه هبات اللجين، وعِتق العبيدِ دعوتك عند انقطاع الرجاءِ والموتُ مني كحبلِ الوريدِ

دعــوتك لما براني البلى وأوهن رجْلَيَّ ثقلُ الحديدِ"[1]

ومنها في بيان أسباب سجنه:

تَعَجَّــلَ فـيَّ وجــوبَ الحــدودِ وحــدّيَ قبـلَ وجـوبِ السـجودِ
وقيــلَ عــدوتُ علـى العــالمينَ بـــينَ ولادي وبـــين القعـــودِ
فمالـــك تقبـــل زور الكـــلام وقــدر الشــهادةِ قــدر الشــهودِ
فـلا تسـمعنَّ مـن الكاشـحينَ ولا تعبـــأنَّ بِمَحْـــكِ اليهـــودِ
وكـنْ فارقـاً بـين دعـوى أردتُ ودعــوى فعلــتُ بشــأوٍ بعيــدِ[2]

وقال ابن كثير الدمشقي" وقد ادعى حين كان مع بني كلب بأرض السماوة قريبا من حمص أنه علوي، ثم ادعى أنه نبيٌّ يوحى إليه، فاتبعه جماعة من جهلتهم وسفلتهم، وزعم أنه أنزل عليه قرآن،... ولما اشتهر أمره بأرض السماوة، وأنه قد التف عليه جماعة من أهل الغباوة، خرج إليه نائب حمص من جهة الأخشيذ، وهو الأمير لؤلؤ...

[1] يتيمة الدهر- ص١٤١
[2] معجز أحمد- ١٩٨ و١٩٩

وسُجِنَ دهرا طويلا، فمرض في السجن وأشرف على التلف، فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتابا اعترف فيه ببطلان ما ادعاه من النبوة."[1]

وقد نقل المعري في رسالة الغفران أيضا رواية مطولة حول موضوع ادعاء أبي الطيب النبوة تجري على شاكلة رواية ابن كثير.

وجاء في كتاب بغية الطلب: "قال[علي بن المحسن التنوخي]: وقد كان المتنبي لما خرج الى كلب وأقام فيهم ادعى أنّه علوي حسني، ثم ادعى بعد ذلك النبوة، ثم عاد يدعي أنّه علوي إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعوتين، وحبس دهرا طويلا وأشرف على القتل، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق."[2]

وجاء في بغية الطلب أيضا: "وقال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي: قدم المتنبي اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو كما عذر، وله وفرة إلى شحمتي أذنه، وضوى إلي فأكرمته، وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته، فلما تمكن الأنس بيني وبينه، وخلوت معه في المنزل اغتناما لمشاهدته، واقتباسا من أدبه، وأعجبني ما رأيت، قلت والله إنّك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير، فقال لي: ويحك أتدري ما تقول؟ فقال :أنا نبي مرسل، فظننت أنّه يهزل، ثم فكرت إنني لم أحصّل عليه كلمة هزل منذ عرفته، فقلت له ما تقول؟ فقال: أنا نبي مرسل، قلت: مرسل إلى من؟ قال: إلى هذه الأمّة الضالة المضلة، قلت: تفعل ماذا؟ قال: أملأها عدلا كما ملئت جورا، قلت: بماذا؟ قال: بإدرار الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى، وضرب الأعناق وقطع الأرزاق لمن عصى وأبى، فقلت أن هذا أمر عظيم أخاف منه عليك أن يظهر وعذلته على قوله ذلك، فقال بديها:

أبا عـــبد الإله معاذ إنّي خفي عنك في الهيجا مقامي

[1] البداية والنهاية- ج١١-٢٥٧

[2] بغية الطلب- ص٦٤٤

الأبيات، فقلت له: لم ذكرت إنّك نبي مرسل إلى هذه الأمة، أفيوحى إليك؟ قال: نعم، قلت: فاتل علي شيئا من الوحي إليك، فأتاني بكلام ما مر بسمعي أحسن منه، فقلت وكم أوحي إليك من هذا؟ فقال: مائة عِبرة وأربع عشرة عبرة، قلت وكم العِبرة؟ فأتى بمقدار أكبر الآي من كتاب الله، قلت: ففي كم مدة أوحي اليك: قال جملة واحدة، قلت: فأسمع في هذه العبر إن لك طاعة في السماء فماهي؟ قال: أحبس المدرار لقطع أرزاق العصاة والفجار، قلت: أتحبس من السماء مطرها؟ قال: إي والذي فطرها، أفما هي معجزة؟ قلت: بلى والله، قال: فإن حبست عن مكان تنظر إليه ولا تشك فيه هل تؤمن بي وتصدقني على ما أتيت به من ربي؟ قلت أي والله، قال: سأفعل فلا تسألني عن شيء بعدها، حتى آتيك بهذه المعجزة ولا تظهر من هذا الأمر شيئا حتى يظهر، وأنتظر ما وُعدته من غير أن تسأله، فقال لي بعد أيام: أتحب أن تنظر إلى المعجزة التي جرى ذكرها؟ قلت: بلى والله، فقال لي: إذا أرسلت إليك أحد العبيد فاركب معه ولا تأخر ولا يخرج معك أحد، قلت: نعم. فلما كان بعد أيام تغيمت السماء في يوم من أيام الشتاء، وإذا عبده قد أقبل، فقال: يقول لك مولاي: اركب للوعد، فبادرت بالركوب معه، وقلت: أين ركب مولاك؟ فقال: إلى الصحراء ولم يخرج معه أحد غيري، واشتد وقع المطر، فقال: بادر بنا حتى نستكن معه من هذا المطر، فإنّه ينتظرنا بأعلى تل لا يصيبه فيه المطر، قلت: وكيف عمل؟ قال: أقبل ينظر إلى السماء أول ما بدا السحاب الأسود وهو يتكلم بما لا أفهم، ثم أخذ السوط فأدار به في موضع ستنظر إليه من التل وهو يهمهم والمطر مما يليه ولا قطرة منه عليه، فبادرت معه حتى نظرت إليه، وإذا هو على تل على نصف فرسخ من البلد فأتيته وإذا هو عليه قائم ما عليه من ذلك المطر قطرة واحدة، وقد خضت في الماء إلى ركبتي الفرس والمطر في أشد ما يكون، ونظرت إلى نحو مائتي ذراع في مثلها من ذلك التل يابس ما فيه ندى ولا قطرة مطر، فسلمت عليه، فرد علي وقال لي : ما ترى؟ فقلت: أبسط يدك فإنّي أشهد أنّك رسول الله، فبسط يده، فبايعته بيعة الإقرار بنبوته، ثم قال لي: ما قال هذا الخبيث لما دعا بك- يعني عبده-؟ فشرحت له ما قال لي في الطريق لما استخبرته، فقتل العبد، وقال:

أيُّ مـحلٍ أرتقي أيّ عــظيم أتقي

و[كُلُّ ما] قَدْ خَلَقَ الـــلهُ وما لَمْ يَخْلُقِ

محتقرٌ في همَّتي كشَعْرةٍ في مفرقٍ

وأخذت بيعته لأهلي، ثم صح بعد ذلك أن البيعة عمت كل مدينة بالشام، وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب، وهي صدحة المطر، يصرفه بها عن أي مكان أحب بعد أن يحوي عليه بعضا، وينفث بالصدحة التي لهم، وقد رأيت كثيرا منهم بالسكون وحضرموت و السكاسك من اليمن يفعلون هذا ولا يتعاظمونه... ثم سألت المتنبي بعد ذلك: هل دخلت السكون؟ قال نعم، ووالدي منها، أما سمعت قولي:

أمنسي السكون وحضرموتا و والدتي وكندة والسبيعا

فقلت: من ثم استفاد ما جوزه على طغام أهل الشام.[1]

كما يلاحظ من المصادر أيضا التي نقلت عن المتنبي أنه ذكر عدة تبريرات لهذا اللقب الذي لحقه، رغم أنه قد صرح في العديد من المناسبات إنّه يكره أن يُدعى به، ومن ذلك ما ذكره أبو بكر الأنباري في نزهته قال: "قال ابن خالويه، يوما في مجلس سيف الدولة: لولا أن أخي جاهل، لما رضي أن يدعى بالمتنبئ، لأن معنى المتنبئ كاذب، ومن رضي أن يدعى بالكذب، فهو جاهل، فقال-أي المتنبي- لستُ أرضى أن أدعى بذلك، وإنما يدعوني به من يريد الغض مني، ولستُ أقدر على المنع:

قال التنوخي: قال لي أبي: فأما أنا، فسألته بالأهواز عن معنى المتنبي، لأنني أردت أن أسمع منه هل تنبأ أم لا؟ فجاوبني بجواب مغالط، وقال: إن هذا شيء كان في الحداثة، فاستحييتُ أن استقصي عليه، فأمسكت".[2]

وبقدر ما كان نسبه محل أخذ ورد وتساؤل، يبدو أن لقبه كان كذلك. فأنت ترى اضطراب الأخبار التي تتحدث عن ادعائه النبوة بين قائل تنبأ في بادية السماوة وأخر

[1] بغية الطلب- ص٦٤٧ الى ٦٥٠

[2] نزهة ألألباء في طبقات الأدباء- ص ٢٢١و٢٢٢

يقول في اللاذقية ناهيك عما في الحديث المنسوب لمعاذ اللاذقي من تناقض واضح، كما أن من كلام التنوخي يتضح أن لا أحد كان على يقين من مسألة تنبأه، أو السبب وراء تلقيبه بهذا اللقب.

زوجه و ولده

لم أجد في المصادر التي قرأتها ذكرا لزوجة المتنبي أو نسبها وأما ولده (المحسّد) فلم يرد من ذكره سوى أخبار مبتسرة ولعل أكثرها توكيدا هي يوم مقتله مع أبيه في واقعة دير العاقول. ولا أحد من المؤرخين ذكر متى تزوج المتنبي؟ ومتى ولد المحسّدُ هذا؟ وكم كان عمرُهُ حين قُتل؟

وقد جاء في الكامل" وفيها – أي سنة ٣٥٤هـ - قتل المتنبي الشاعر واسمه أبو الطيب أحمد بين الحسين الكندي، قريبا من النعمانية، ومعه ابنه"[١]

كما جاء في وفيات الأعيان" ... فقتل المتنبي وابنهُ محسّدٌ وغلامُهُ مفلِحٌ بالقرب من النعمانية،... عند دير العاقول"[٢] وكذا في العديد من المصادر التي ذكرت مقتل المتنبي. وقد ذكر اليازجي في شرح العرف الطيب في الملحق هذه الأبيات:

مـالي كـأنَّ اشـتياقاً كـان يعصـفُ بـي
بمصـــر لا بســـواها كـــان مرتبطـــا
ومـــا أفـــدت الغنـى فيهـــا ولا ملكـــت
كفـــي بهـــا ملكـــا بـــالجود مغتبطـــا
أ إنْ هربـــتُ ولـــم أغلـــطْ تجـــدد بـــي
وجـــدٌ يحسِّـــنُ عنـــدي الجـــور والغلطـــا
لـــولا محمـــد بـــل لـــولا الحســـين لمـــا
رأيـــتُ رأيـــي بـــوهنِ العـــزمِ مختلطـــا

[١] الكامل في التاريخ – ابن الاثير – ت- د. عمر عبد السلام تدمري- ج٧- دار الكتاب العربي- بيروت- ٢٠١٢- ص٢٥٩
[٢] وفيات الاعيان- ص ١٢٣

هــذا هــواي وذا ابنـي خــط مســكن ذا
بمصـــر والشـــام ألقـــى دائمـــا خططـــا
ولــي مـــن الأرض مـــا أنضـــى رواحلـــه
عزمـي لقــد حكمــت فينــا الهــوى شــططا
يـــا قاتــل الله قلبـي كيـــف ينــزع بـــي
أمـــا أرى مـــن عقـــال الهـــم منتشـــطا"[1]

فإن صحت نسبة هذه الأبيات فإنّ الراجح أن في اسم (محمد) تصحيف ويكون بدلا منه (محسّد)، وهو بهذا يشير إليه في حنينه هذا، وربما كان في اسم الحسين إشارة إلى قبر والده في الشام.
وذكر اليازجي أن ياقوت الحموي قال: كان المتنبي جالسا بواسط فدخل عليه رجلٌ وقال: نريد أن تجيز لنا قول الشاعر:

زارنا في الظلام يطلب سترا
فافتضحنا بنوره في الظلام

قال فرفع رأسه وكان ابنه المحسد واقفا بين يديه، قال: يا محسد قد جاءك بالشمال فأته باليمين. فقال المحسد ارتجالا:

فالتجأنا إلى حنادس شعر
ستــرتنا عن أعين اللوام"[2]

[1] العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب- ناصيف اليازجي-مطبعة القديس جاورجيوس- بيروت-١٨٨٢-ص ٦٥٢
[2] المصدر السابق- ص ٦٥٣

قبيلته

وأما قبيلته فإن الذي بين أيدنا من المصادر الموثوقة وهو كتاب الفسر لابن جني لم يذكر شيئا عن ذلك والذين ذكروا أنّه جعفي إنما ذكروه استنادا إلى الروايات التي ذكرها علي بن المحسن التنوخي، ومع ذلك فقبيلة جعفي هي من القبائل اليمنية وهي من مذحج سكنت الكوفة بعد الفتح الإسلامي، وكان لها دور فاعل في الحركات السياسية ضد الأمويين. وتسكن محلة كنده في الكوفة.

شخصيته وعقيدته

لم تكن شخصية المتنبي بعيدة عن الخلاف والاختلاف بين محبيه ومنتقديه، فقد كان ومازال مثار جدل واسع، لم ولن يخمد أواره، بين متهم له بالغرور والكبر والعجرفة وبين من يراه فريدا في إبداعه، وأنّه لو لم يكن بذلك الاعتداد وتلك الشخصية القوية لما جاء شعره مرآة لشخصيته ومتماهيا معها، وبين حاسدين ومبغضين له، رموه بالكفر وبادعاء النبوة وبالقرمطية وغير ذلك من التهم, استلوا بعضها من تصرف هنا أو قول هناك أو رواية لا يعرف مدى صدقها من كذبها، ومعجبين ومحبين له حاولوا بكل ما استطاعوا، أن يفندوا تلك الادعاءات، ويجدوا له من التبريرات والتأويلات ما يبرء ساحته.

وربما كان حساده أكثر من محبيه أثرا في إعلاء شأنه وإظهار تفوقه، كما قال أبو تمام:

و إذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ أتاح لها لسانَ حسودِ[1]

يقول القاضي الجرجاني في وساطته:" أرى أهل الأدب... في أبي الطيب... فئتين: من مطنب في تقريضه، منقطع إليه بجملته، منحط في هواه بقلبه ولسانه، يتلقى مناقبه

[1] شرح ديوان ابي تمام- الخطيب التبريزي ج١- ت- راجي الأسمر- دار الكتاب العربي، بيروت- ط٢- ١٩٩٤-ص ٢١٣

إذا ذكرت بالتعظيم،... وعائب يروم إزالتهُ عن رتبته، فلم يُسلّم له بفضله، ويحاول حطّهُ عن منزلةٍ بوأه إياها أدبُهُ."[١]

ويقول ابن كثير:" وزعم أنّه نزل عليه قرآن ... وهذا من خذلانه وكثرة هذيانه وفشاره، ولو لزم قافية مدحه النافق بالنفاق، والهجاء بالكذب والشقاق، لكان أشعر الشعراء، وأفصح الفصحاء"[٢]

ويقول أبو القاسم الأصفهاني" وهو في الجملة خبيث الاعتقاد، وكان في صغره وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوسه وأضله كما ضل"[٣]

وقال الذهبي:" وكان معجبا بنفسه، كثير البأو والتيه، فمقت لذلك"[٤]

و مع نفينا الجازم لميله لفكر القرامطة وترجيح أنه شيعي المذهب لجملة أسباب منها:

١- إنّه نشأ وتربى بالكوفة التي هي معقل الشيعة.

٢- قربه من العلويين ورعايتهم له وبالأخص من قبل آل عبيد الله وترجيح رضاعته من حليب إحدى نسائهم

٣- بعض الإشارات الواردة في قصائده والتي تصف الإمام علي(ع) بالوصي وهو اعتقاد شيعي بحت من مثل قوله:

"وتَرَكْتُ مَدْحي للوَصِيِّ تعَمّداً

إذْ كان نوراً مُسْتَطيلاً شاملا

---

[١] الوساطة بين المتنبي وخصومه- ص ٣

[٢] البداية والنهاية- ص ٢٥٧

[٣] الواضح في مشكلات شعر المتنبي- ابو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الاصفهاني- ت- الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور- منشورات الدار التونسية- تونس- ١٩٦٨ - ص٧

[٤] سير اعلام النبلاء- للإمام ابي عبد الله محمد بن احمد بن قايماز الذهبي-ت-حسان عبد المنان-بيت الأفكار الدولية-ج١- ص ٧٦٩

وإذا استطالَ الشيءُ قام بِنَفْسِهِ

وصفاتُ ضَوْءِ الشّمسِ تَذْهَبُ باطلا"[1]

وعَلَّق جامع تلك الزيادات تحتهما بقوله:(وأرى البيتين نحلهما بعض الشيعة له).

وما أراه أنهما من شعر المتنبي، ولا حاجة للنحل في الموضوع فرأي المتنبي بأن الأمامَ عليّاً وصيٌّ للرسولِ(ص) قد ورد في غيرِ هذه الأبيات كما سنذكره آنفا.

وكذلك ما رواهُ ابنُ خالويه من قوله:

يـا سـيفَ دولـةِ ذي الجـلالِ ومَـنْ لَـهُ
خيـــرُ الخلائـــفِ والأنـــامِ ســـميُّ
أو مـــا تـــرى صِـــفّينَ كيـــفَ أتيتهـــا
فـــانزاحَ عنهـــا العســـكرُ الغربـــيُّ
فكأنَّـــهُ جـــيشُ ابـــنِ حـــربٍ رُعْتَـــهُ
حتّـــى كأنَّـــكَ يـــا علـــيُّ عليـــيُّ[2]

وكذلك في قوله لبعض الطالبيين وقد أشار إليه بمسكٍ في حضرة عبيد الله بن طغج:

الطّيبُ مما غنيتَ عنْهُ كفا بقربِ الأميرِ طيبا

يبني به ربّـنا المعـالي كما بكم يغفرُ الذنوبا

[1] زيادات شعر المتنبي- عبد العزيز الميمني الراجكوتي- المطبع السلفية ومكتبتها- القاهرة- ١٩٢٦ص١٢٤

[2] ديوان ابي الطيب المتنبي- فريدرخ ديتريمي- مطبعة برلين- ١٨٦١- ص٨٧٥ و زيادات شعر المتنبي- عبد العزيز الميمني- ص١٢٨

وقوله في قصيدة مدح بها طاهر بن الحسين العلوي:

إذا علويٌّ لم يكنْ مثلَ طاهرٍ

فما هو إلّا حِجْةٌ للنواصبِ

ومنها:

هو ابن رسول الله وابن وصيهِ

وشِبْهُهُما شَبَّهْتُ بعدَ التجاربِ

إن ما أوردناه وإن كان فيه دليل على عقيدته الشيعية بيد أنني أرى أن اعتقاد أبي الطيب هذا والذي يظهره في ما أوردناه من أبيات إنما أملاه عليه الظرف وعقيدة الممدوح أو من هو في جواره، ولو كان متمسكا بتلك العقيدة؛ لوجدنا له مراث أو مدائح في الحسين الشهيد، وواقعة الطف المشهورة، وهي مما لا يمكن لشاعر شيعي المذهب على أقل تقدير أن يتجاوزها، أو يغض الطرف عنها ولا يورد لها ذكرا في شعره، وما هو واضح أنَّ أبا الطيب ذو نفس تميل إلى الفروسية والإقدام، وواقعة الطف مثال جلي لمثل هذه الصفات، فلماذا لم نلحظ ولا حتى إشارة بعيدة لتلك الواقعة، رغم أنّه عاش في كنف إمارة عرف عن أمرائها تشيعهم لآل بيت الرسول(ص)، بل إن معظم الأمراء الذين صحبهم هم على هذا المذهب!؟ وأحسب أن هذا وغيره يدل دلالة واضحة أن الفكر الديني أو المذهبي لم يكن له أي أثر في اهتماماته، وفي هذا أيضا دليل على بطلان كل ما رمي به من تهم، سواء بقرمطيته، أو دهريته، أو غير ذلك، مما استنتجه البعض من شطحات جاءت عرضا في بعض اشعاره. لقد كان المتنبي متحررا من كل هذه الاعتقادات، ولا عقيدة له سوى ما يقربه من طموحه الشخصي.

حساد المتنبي ومبغضيه

كانت شخصية المتنبي التي تتسم بالقوة والكبر والاعتداد بالنفس، بالإضافة إلى شاعريته الفذة و تفضيل الملوك والأمراء له على بقية الشعراء قد خلق له الكثير من الأعداء والحاسدين، كما أنّ ترفعه عن مدح بعض الشخصيات ذات الجاه والسلطان قد ملأ قلوبهم حقدا وغلّاً له.

"حكى صاحب المفاوضة –أبو الحسن محمد بن علي بن نصر المالكي- قال: كان سيف الدولة يميل إلى العباس النامي الشاعر ميلا شديدا إلى أن جاءه المتنبي، فمال عنه إليه، فغاظ ذلك أبا العباس، فلما كان ذات يوم خلا به وعاتبه وقال: أيها الأمير لم تفضل علي (ابن عيدان السقا) - وأظن هذه العبارة من المؤلف-؟ فامسك سيف الدولة عن جوابه، فلج وألح، وطالبه بالجواب، فقال لأنك لا تحسن أن تقول قوله:

يعود من كلِّ فتحٍ غير مفتخرٍ وقد أغذَّ إليهِ غيرَ مُحتَفلِ

فنهض من بين يديه مغضبا، واعتقد ألّا يمدحه أبداً".[1]

قال عبد المحسن علي بن كوجك: إن أباه حدثه قال: كنت بحضرة سيف الدولة و أبو الطيب اللغوي وأبو الطيب المتنبي وأبو عبد الله بن خالويه النحوي، وقد جرت مسالة في اللغة تكلم فيها ابن خالويه مع أبي الطيب اللغوي، والمتنبي ساكت، فقال له سيف الدولة: ألا تتكلم يا أبا الطيب؟ فتكلم فيها بما قوى حجة أبي الطيب اللغوي وضعف قول بن خالويه.

فأخرج من كمه مفتاحا حديدا ليلكم به المتنبي، فقال له المتنبي: أسكت ويحك، فانك أعجمي، وأصلك خوزي، فما لك وللعربية؟ فضرب وجه المتنبي بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه، فغضب المتنبي من ذلك، إذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولا ولا فعلا. فكان ذلك أحد أسباب فراقه سيف الدولة.

[1] الصبح المنبي- ص ٨١ و٨٢

قال ابن الدهان في المآخذ الكندية من المعاني الطائية: إنّه قال أبو فراس لسيف الدولة: إنّ هذا المتمشدق كثير الإدلال عليك، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد، ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام، وعمل فيه."[1]

[1] الصبح المنبي- ص ٨٧ و٨٨

منزلته الشعرية

يقول الواحدي في شرحه:" وإن الناس منذ عصر قديم قد ولّوا جميع الأشعار صفحة الإعراض، مقتصرين منها على شعر أبي الطيب المتنبي، نائين عما يروى لسواه، وإن فاته وجاز في الإحسان مداه، وليس ذلك إلّا لبخت اتفق له فعلا، فبلغ المدى. وقد قال هو:

هو الجَدُّ حتى تفضل العين أختَها

و حتى يكونُ اليومُ لليومِ سيدا

على أنه كان صاحب معان مخترعة بديعة، ولطائف أبكار منها لم يُسبَقْ إليها دقيقة، ولقد صدق من قال:

ما رأى الناسُ ثانيَ المتنبي أيُّ ثـــانٍ يُـرى لبِكْرِ الزمانِ

هــو في شعـــرِهِ نبيٌّ ولكنْ ظهرتْ معجزاتُهُ في المعاني

ولهذا خفيت معانيه على أكثر من روى شعره من أكابر الفضلاء والأئمة العلماء، حتى الفحول منهم والنجباء"[1]

ومما يروى عن أبي العلاء المعري أنّه "إذا ذَكَرَ الشعراء يقول: قال أبو نؤاس كذا، قال البحتري كذا، قال أبو تمام كذا، فإذا أراد المتنبي قال: قال الشاعر كذا، تعظيما له"[2]

وقال الثعالبي:" نادرة الفلك، وواسطة عقد الدهر، في صناعة الشعر، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه، إذ هو الذي جذب بضبعه، ورفع من قدره، ونفق سعر شعره، وألقى عليه شعاع سعادته، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر، وسافر

[1] شرح الواحدي لديوان المتنبي- ص٧٩

[2] الصبح المنبي- ص ٧٢

كلامه في البدو والحضر، وكادت الليالي تنشده، والأيام تحفظه، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل]:

و ما الدهرُ إلّا من رواةِ قصائدي

إذا قلت شعرا أصبح الدهرُ منشدا

فســـــارَ بهِ من لا يســـيرُ مشمّراً

و غــنى بـــه من لا يـــغني مـــــغردا

فليس اليوم مجالس الدرس، أعمر بشعر ابي الطيب من مجالس الأنس، ولا أقلام كتّاب الرسائل، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل، ولا لحون المغنين، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين، وقد ألفت الكتب في تفسيره، وحلّ مشكلة عويصه،.. وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح عنه، والتعصب له وعليه، وذلك أول دليل دلّ على وفور فضله، وتقدم قدمه، وتفوده عن أهل زمانه، بملك رقاب القوافي، ورق المعاني."[1]

وقال صاحب الصبح المنبي:" وحكي أن السري الرفاء حين قصد سيف الدولة أنشده بديها:

إني رأيتك جالسا في مجلس قعد الملوك به لديك وقاموا

فكأنك الدهر المحيطُ عليهم و كأنهم من حـــولك الأيامُ

ثم أنشده بعد ذلك ما قال فيه من الشعر، وبعد ثلاثة أيام أنشده المتنبي قصيدة قافية، فأمر له بفرس وجارية، وأول القصيدة:

أ يــدري الـربعُ أيَّ دم أراقا و أيَّ قلوب هذا الركب شاقا

[1] ابو الطيب المتنبي ماله وما عليه- ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري- ت- محمد محي الدين عبد الحميد- مكتبة الحسن التجارية- القاهرة- ص٣٠ و ٣١

قال: فلما قال:

وخَصرٌ تثبتُ الأبصار فيه كأنَّ عليه من حَدقٍ نطاقا

فقال السري: هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون"[1]

وبين التحامل والحسد في كلام بن كثير وموقف أبي فراس وابن خالويه والشاعر النامي و إعجاب الواحدي- رغم تعليل شهرته للبخت- وإعجاب المعري الواضح بالشاعر. وابن جني وغيرهم يقف الجرجاني في وساطته محاولا إمساك العصا من المنتصف، ولعله كان منصفا في كثير من آرائه وخاصة في ما يتعلق بشعره. وكذلك فعل الثعالبي في كتابه المتنبي ما له وما عليه، ولا عجب في آراء مناصريه ومبغضيه، فقد كان الرجل وما زال اشكاليا في شخصيته وفي شعره حتى كُتِبت العديد من المؤلفات التي تتبع عثراته وسقطاته سواء الشعرية أو الحياتية أو تختلقها له، فهذا العميدي يضع كتابا أسماه (الإبانة عن سرقات المتنبي)، ثم الحاتمي في (الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره) والصاحب ابن عباد في (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي) والشاعر أبو العباس النامي في رسالته التي يتعقب بها اخطاء المتنبي والتي أشار إليها ابن وكيع في كتابه (المنصف) وغير ذلك الكثير ، وفي مقابل ذلك كانت هنالك مؤلفات أخرى تدافع عنه أو تنصفه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: معجز أحمد واللامع العزيزي لأبي العلاء المعري والفسر والفتح الوهبي لابن جني والثعالبي في كتابه (أبو الطيب المتنبي ماله وما عليه)، وكثير من الشروح التي أفاضت في الحديث عن محاسن شعره.

[1] الصبح المنبي- ص ٧٩ و٨٠

زُبْدَةُ المَخْضِ

ومما سبق ذكره يبدو أن جميع المصادر باستثناء ما شذ منها اتفقت على أن اسم المتنبي هو أحمد بن الحسين و ما بعد ذلك فهو مختلَفٌ فيه، وقد ذكروا إنّه جعفي، وذكر بعضهم إنّ أباه كان يلقب بعيدان السقاء، وقالوا إنّه كان يستقي الماء على جمل له لأهل الكوفة، وزعم بعضهم إنّه ادعى أنّه علوي ثم ادعى أنّه نبي، وذكروا أن له قرآنا، بيد أنهم لم يوردوا سوى بضعة جمل مسجوعة هي من سقط الكلام ولا تتناسب مع بلاغة المتنبي وفخامة ألفاظه وحلاوة أسلوبه. ومما يلاحظ أن أغلب الروايات إن لم تكن جميعها والتي تحدثت عن مهنة والده جاءت مسندة إلى أبي القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي عن أبيه والتي ينسبها إلى أبي الحسن محمد بن يحيى العلوي وإلى القاضي أبي الحسن بن أم شيبان. ولم أجد في (كتاب أنساب آل ابي طالب لابن عنبة) أحدا بهذا الاسم سوى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي- هكذا ذكر في تاريخ بغداد- قال ابن عنبة" وكان وجيها متمولا لم يملك أحد من العلويين ما ملك من الأملاك والأموال والثنايا، ومن أغرب حكاياته أنه كان جالسا في الديوان والمطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة بن بويه في الديوان، فورد عليه توقيع فيه: إن رسول القرامطة يصل إلى الكوفة فينبغي أن تكتب إلى الكوفة في تهيئة الأسباب، فأرى الوزير الشريف ذلك التوقيع، وأشار إليه بأن يرسل إلى الكوفة من يقيم برسم الخدمة مع ذلك الرسول ويهيئ له منزلا ينزله وما يحتاج إليه، ثم اشتغل الوزير ببعض مهمات الديوان ساعة والتفت فرأى الشريف جالسا فقال: أيها الشريف إن هذا الأمر ليس مما يتهاون به ويتكاسل فيه، فقال الشريف: قد أرسلت إلى الكوفة بالخبر وأتى الجواب بتهيئة الأسباب، فتعجب الوزير من ذلك وسأله فأخبره إن عنده ببغداد طيورا كوفية وبالكوفة طيورا بغدادية فلما أمر الوزير بما أمر به أشرت بأن يكتب إلى الكوفة على الطير بذلك وجاء الخبر بوصول الكتاب وامتثال

الإشارة."[1] والمرجح عندي أنه هو المقصود لما ذكر من علاقته بأركان الدولة آنذاك، وجاء في تاريخ بغداد إنه "ولد في سنة خمس عشرة وثلاث مئة"[2] وأما القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن علي بن يحيى الهاشمي المعروف بابن أم شيبان فقد ولد سنة (٢٩٣هـ) هكذا ذكره الذهبي في كتاب سير أعلام النبلاء، وقال الخطيب البغدادي إنّه:" من أهل الكوفة وبها ولد ونشأ، وقَدِمَ بغداد سنة إحدى وثلاث مئة مع أبيه، ثم تكرر دخوله إيّاها، ثم دخل سنة سبع وثلاث مئة، فقرأ على أبي بكر بن مجاهد ولقي الشيوخ، ثم انتقل إلى الحضرة واستوطنها في سنة ستة عشر وثلاث مئة."[3] فكيف يصح أن يكون ترب المتنبي، فهو أحد أمرين أما أن التنوخي تقوّل عليهما أو أنهما من المتحاملين على أبي الطيب بسبب ارتباطهما بالوزير المهلبي، وربما تأثر أبو الحسن العلوي من مدح المتنبي لمحمد بن عبيد الله العلوي وتعريضه بمن حاولوا قتله من الزيديين الذين يعرفون بآل الفدان. و قصيدة المتنبي كانت على إثر تلك الضربة والتي عرف بها فيما بعد بلقب (المشطب). ومنها:

يـا ليـتَ بـي ضـربةً أتـيحَ لهـا ... كمـا أُتيحـتْ لـهُ، محمـدُها
أثّـرَ فيهـا وفـي الحديـدِ ومـا ... أثّـــرَ فـــي وجهِـــهِ مهنـــدُها
وأَيْقَـــنَ النـــاسُ أنَّ زارعَهـــا ... بـالمكر في قلبِـهِ سيحصِـدُها

وهذه الروايات التنوخية فيها الكثير من المآخذ، فهي روايات لم يذكرها غيره، ويحتمل أن المحسن التنوخي الذي ينقل عنه ابنه علي ، كان متحاملا على المتنبي أما تقربا للمهلبي أو أنه كان ممن يختلفون مع علي بن ابراهيم التنوخي الذي مدحه أبو الطيب وعرض بمن خالفوه من أبناء عمومته وأغراه بهم. وقد أشار الأستاذ محمود شاكر في

[1] عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب-جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ابن عنبه)- دار الاندلس- النجف الاشرف- ١٩٨٨ص ٢٧٨

[2] تاريخ بغداد مدينة السلام- الامام الحافظ ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي-ت- د. بشار عواد معروف- دار الغرب الاسلامي- ج٤- ط١ - ٢٠٠١ص٥٤

[3] المصدر السابق -ج٣- -ص٣٤٠

كتابه المتنبي إلى بعض المآخذ على روايات التنوخي وأفاض في ذلك، ومما ذكره في تفنيده للروايات التي جاءت على لسان علي بن المحسن التنوخي والتي نقلها عن والده القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي، وأنا أرى رأيه يقول: أنه" ولد سنة ٣٢٧هـ وتقلد القضاء سنة ٣٤٧، فكان من أصحاب الوزير أبي محمد المهلبي وكان المتنبي قد دخل بغداد في طريقه إلى عضد الدولة بشيراز، وقد ترفع أن يمدح الوزير المهلبي، فأغرى المهلبي به الشعراء وغيرهم، ... فلا عجب أن يكون محسن التنوخي من أعداء أبي الطيب لصلته القريبة بالوزير ،فقد بلغ به أن كان من ندمائه، ولا عجب أن يسند التنوخي روايته أو (كذبه) إلى بعض شيوخه لئلا يفتضح ولذلك زعم... أن القاضي بن أم شيبان حدثه"[١]

أما رواية أبي عبد الله معاذ اللاذقي حول ادعاء المتنبي النبوة، فالاضطراب واضح في متنها، فهو يدعي أنه استضافه أول مجيئه للاذقية ثم يقول إنه ما عرف عنه الهزل فمتى ترسخت تلك المعرفة، و يقول إنه صدقه وبايعه وأخذ له البيعة لأهل بيته ثم يقول (من ثمَّ استفاد ما جوزه على طغام أهل الشام) (والطغام: أراذل الناس و أوغادهم) ونسي معاذ أو واضع الرواية على لسانه أنه هو أول من صدقه، وزعم أن بيعته عمت كل مدينة بالشام فهل خلت هذه المدن من أهل العلم!؟ و هل كان كل هؤلاء غير عارفين بعقيدتهم؟ ألا يعرفون أن محمد(ص) خاتم الأنبياء وأن لا نبي بعده؟ وإذا كنا نسمع عن رجل ادعى النبوة هنا أو هناك، وصدقه بعض الناس، فإنما ذلك كان في البلاد الحديثة الدخول في الإسلام، والذين لم يتشربوا بالعقيدة الإسلامية بعد، أما الشام فقد دخلها الإسلام منذ القرن الأول للهجرة، وفيها من فيها من العلماء والفقهاء، فكيف يمكن أن يصدقوا بدعوة كهذه!؟ ثم ذكر أنه في بادئ الأمر صدق بأن تلك معجزة، ليعود بعد ذلك ويقول أنها حيلة الصدحة والتي رأى كثيرا من أهل اليمن يفعلونها ولا يتعاظمونها فمتى ذهب إلى اليمن وجاب السكون وحضرموت؟ وزعم أنه سأل المتنبي هل زار اليمن فأجابه بنعم، وإن والده منها، ثم قال له: أما سمعت بقولي (أمنسي السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا) وكل هذه أماكن

[١] كتاب المتنبي – محمود محمد شاكر ابو فهر- شركة القدس للنشر- ص١٤٥-١٤٦

في الكوفة كما ذكر ذلك ابن جني في الفسر وغيره ممن شرح الديوان، وكذلك ذكرها صاحب تاريخ الكوفة، و لم يُعرف أنّ المتنبي ذهب إلى اليمن ثم أن هذا البيت من قصيدة قالها في مدح علي بن ابراهيم التنوخي بعد أن تولى إمرة اللاذقية وأظنه في عام ٣٢٨هـ، ثم زعم اللاذقي أنه نزل عنده أول قدومه إلى الشام فكيف يصح أن يسأله: ألم تسمع قولي؟

وإذن فإن كل الروايات التي بين أيدينا والمتعلقة بدعوة النبوة و مهنة والده عرضة للطعن سواء في المتن أو في السند، و كل ما يمكن أن نقبله من هذه الروايات هو:

١- أنّه أحمد بن الحسين المتنبي.

٢- أنّه تعرض للسجن حتى شارف الهلاك لسبب متعلق بالخروج على السلطة.

٣- أنّ أمّه توفيت وهو صغير فتكفلته جدته وهي بلا شك امرأة صالحة أيّا كان نسبها وأرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله؛ ولذلك ولغيره من إحسانهم إليه بقي محتفظا لهم بالود والامتنان كما دلت عليه قصيدته في مدح الأمير محمد بن عبيد الله العلوي.

٤- أنّه تلقى علومه في الكوفة سواء في مدارس أبناء أشراف العلويين أو غيرهم، ولا شك في نبوغه وتفوقه.

٥- أنه ذهب إلى البادية ليتلقى اللغة عن أهلها ويتعلم الفروسية كما هو شأن من يذهبون إلى البادية من الصبيان آنذاك.

٦- أن المتنبي كان ذا عفة وقوة شخصية وشجاعة بالإضافة إلى اعتداد كبير بالنفس ربما وصل إلى حد الغرور والكبر، وهو ما جلب له العداء والحسد لدى الكثير ممن عاصروه.

٧- والظاهر أنّ هناك شبه يقين إنّ له ابناً اسمه المحسّد، وكذلك احتمالية مقتله معه في الرواية المشهورة. رغم إنّه لا يوجد شيء في حياة المتنبي باستثناء

حادثة مقتله يدل على أثر واضح لشخصية المحسد هذا، سوى رواية واحدة هي تلك التي ذكرها اليازجي في اجازته لبيت شعر في واسط.

٨- إنّ الملوك والأمراء والوجهاء كانوا يجلّونه ويطلبون وده، ويعظمون شأنهُ، ولذلك بالغوا في اكرامه وقربوه منهم. لفرادته وتميزه عن جميع من عاصروه حتى وصف بانه (نادرة الزمان) وهذا أيضا جعله موضع حسد من معاصريه من الشعراء.

٩- أنه كان ذا طموح سياسي لازمه في جميع أطوار حياته وسعى له بكل ما أتيح له من وسائل، إلّا أنّه فشل في تحقيقه؛ ولذلك كان يشكل عقدة لازمته حتى في سمات شعره، فابتدع أسلوبا خاصا في المدح لم يسبقه إليه أحد، هو الافتخار بنفسه وتعظيم ذاته قبل تعظيم ممدوحه، واستعمال ألفاظ الغزل في مدائحه وهو مالم يسبقه إليه أحد.

١٠- لا شيء يدل دلالة قطعية على مهنة والده، أو مكانته الاجتماعية، باستثناء روايات التنوخي التي لا تبعث على الاطمئنان، للأسباب التي ذكرناها ولتعارضها مع ما توفر للمتنبي الصبي من رعاية سواء في دراسته أو في إرساله إلى البادية.

الفصل الثاني

تمهيد

سنحاول في هذا الفصل أن نقرأ بعض النقاط الإشكالية في مؤلفات المعاصرين ممن اقترحوا فرضيات لنسبه أو لشخصيته وعقيدته، محاولين مناقشتها وتحليلها سواء في إطار المرجعية التاريخية أم الاجتماعية أم الأدبية أم العقائدية، محتفظين للأساتذة الأجلاء بالإكبار والتقدير لجهودهم التي بذلوها، وفرضياتهم التي افترضوها استنادا لما أملته عليهم قراءاتهم وتحليلاتهم وقناعاتهم، سواء كنا نتفق مع بعضها أم نختلف مع جملتها، ومن المؤكد أنْ ليس كل ما تحدثوا عنه أو سنتحدث عنه، هو افتراض جديد، بل إنّ أغلب ما ذُكر عن حياته، هو يكاد أن يكون محل اتفاق تاريخي، وليس فيه الكثير مما يوجب الخلاف أو الاختلاف أو المخالفة، بيد أن محل ذلك كله هو ما اضطربت فيه الروايات أو ما تضاربت فيه التفسيرات والتأويلات من شعره، وسنحاول أن نكون منصفين في حججنا في تفنيد ما اختلفنا فيه معهم قدر الإمكان، من دون استخفاف بما توصلوا إليه حتى وإن كان مدعاة لذلك، مبتعدين عن التعظيم لما نراه، أو الإشكال على ما نختلف معه من فكر أو مذهب ديني أو قومي، فإن الهدف الأول والأخير من بحثنا هو الجانب الأدبي لا غير وإن انعطف بنا الحديث في النقاش لجانب مذهبي أو قومي فإن مرجع حديثنا هو تحليلنا لشخصية المتنبي وفكره وعقيدته ومذهبه، وما استعانتنا بما يرد في كتاب هنا أو هناك يتحدث عن عقيدة أو فكرة دينة أو مذهبية أو قومية إلّا لتوضيح رأي أصحابها قدر تعلق الأمر ببحثنا؛ سواء اختلفنا أم اتفقنا معهم في ذلك. ولعل من بين أهم الدراسات أو المؤلفات التي حملت طروحات إشكالية هي: كتابي (كتاب المتنبي) للأستاذ محمود محمد شاكر أبو فهر و كتاب (المتنبي يسترد أباه) للأستاذ عبد الغني الملاح و سنحاول أن نحاورهما في ما نختلف فيه بشيء من التفصيل وربما نشير إلى ما نتفق به معهما، وسنحاول الحديث عن بعض النقاط التي افترضها الدكتور طه حسين و المستشرقان بلاشير ولويس ما سينيون، وربما أشرنا إلى بعض المآخذ على افتراضات الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه (ذكرى ابي الطيب). وسنبدأ بكتاب الأستاذ عبد الغني الملاح، لكثرة ما نشكله عليه أولا، و لأن فيه الكثير مما أخذه عن الأستاذ محمود شاكر ،

وربما تعرضنا لما نختلف فيه معه في مسار حديثنا، أو أرجأنا بعضه إلى وقت الحديث عن كتابه في المبحث القادم.

المتنبي يسترد أباه للأستاذ عبد الغني الملاح

هل استرد المتنبي أباه!؟

سؤال نطرحه لا لنجيب عنه هنا ولكن؛ لنعرف مدى حقيقة ما ذهب إليه الأستاذ الملاح في فرضيته التي جاء بها في كتابه هذا.

ظهر في القرن العشرين بعض الباحثين الذين حققوا في نسب المتنبي ومنهم على سبيل المثال الاستاذ محمود محمد شاكر أبو فهر حيث يقول: " كان من قصة كتابي (المتنبي) اني كتبته سنة ١٩٣٦م وافترضت فيه فرضا يعينني على تفسير بعض ما في شعره، وعلى تفسير بعض ما في اخبار حياته وصلاته باهل عصره، وكان هذا الفرض الذي افترضته أنه علوي النسب، كان مجرد فرض جريء"[١] على أن فرض الأستاذ أبي فهر بأنه علوي النسب ليس بالجديد كما أرى فقد ذكرت ذلك بعض المصادر التي مر ذكرها على سبيل الاتهام بادعاء المتنبي ذلك.

أما الكتاب الآخر والذي كان حقا جريئا بافتراضه هو كتاب الأستاذ عبد الغني الملاح والذي أسماه: المتنبي يسترد أباه، وهو ما سنحاول مناقشته في هذا المبحث علنا نصل إلى ما يقربنا من الحقيقة أو ما يقاربها.

يقول الملاح في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه:" إني طرحت فرضية عن نسب المتنبي.. مجرد نظرية فرضية أن هذا الشاعر العملاق هو ابن الإمام محمد المهدي"[٢].

وهو بهذا الافتراض يستند إلى استنتاجات توصل إليها من خلال تطبيق نظريات رياضية ونفسية وتساؤلات فكرية واجتماعية وتفسيرات لنصوص شعرية للشاعر. فهل أعانت هذه النظريات الباحث في الوصول إلى الحقيقة أو الاقتراب منها أم أن مخيلته شطت به فابتعد عن الحقيقة أكثر مما يجب؟

---

[١] كتاب المتنبي، رسالة في الطريق الى ثقافتنا- محمود محمد شاكر ابو فهر- مطبعة المدني- المؤسسة السعودية بمصر-١٩٨٧م - ص١٨٥

[٢] المتنبي يسترد أباه- عبد الغني الملاح- المؤسسة العربية للدراسات والنشر-ط٢-١٩٨٠-ص ٧

يضع الملاح جملة تساؤلات كخطوة أولى في مسيرة بحثه فيقول:" هل كان – والد المتنبي- رجلا تافها فخجل ابنه من ذكر اسمه وطمس حقيقته في جوف الزمن؟.

هل كان هاربا من العدالة فتستر عليه خوف العقاب أو الهلاك أو الوقوع بيد سلطان جائر؟.

هل كان رجلا مهماً وصاحب قضية فانطوى على سره الكبير بارا بوعود قطعها على نفسه في صباه أو شبابه بعد أن أدرك خطورة البوح باسمه أو الانتساب إليه؟

ثم يجيب عن تلك الافتراضات مسقطا فرضيتين منها بقوله" إن كل المنطلقات التي انطلق منها الشاعر في تحديه للآخرين وفي غروره الذاتي وكبريائه الشخصي وهجائه للملوك ورضاه عنهم تشير إلى أنه لم يكن ابن رجل تافه ولا ابن رجل هارب من العدالة."[1]

ونحن مع الملاح في ذلك فلم يكن المتنبي ابن رجل تافه قط ولا ابن رجل هارب من العدالة.

وإذن بقيت أمامنا فرضية واحدة من فرضيات الملاح وهي التي دار حولها بحثه واستقر على تثبيتها وتأييدها أي أن أباه كان صاحب قضية فانطوى (المتنبي)على سره الكبير.

ونحن سنورد استدلالاته التي ارتكز عليها في بحثه أو أهمها لنرى إن كانت تلك الاستدلالات تؤدي إلى النسب الذي افترضه أم إنها ضرب من الخيال والتعسف في التأويل؟

١- كان أول منطلقات تأييد افتراضه أبيات قصيدة قالها المتنبي في صباه:

"شَمسٌ إذا الشّمسُ لاقَتهُ على فرَسٍ
تَرَدّدَ النّورُ فيها مِنْ تَرَدّدِهِ

[1] المتنبي يسترد اباه- ص ٢٥و٢٦

إنْ يَقْبُحُ الحُسْنُ إلاّ عِنْدَ طَلعَتِهِ
فالعَبْدُ يَقْبُحُ إلاّ عندَ سَيّدِهِ
قالتْ عنِ الرِّفْدِ طِبْ نَفْساً فقلتُ لها
لا يَصْدُرُ الحُرُّ إلاّ بَعْدَ مَوْرِدِهِ
لم أعرِفِ الخَيرَ إلاّ مُذْ عَرَفْتُ فَتًى
لم يُولَدِ الجُودُ إلاّ عِندَ مَوْلِدِهِ
نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفسَ الدّهرِ من كِبَرٍ
لهَـا نُهَـى كَهْلِـهِ في سِـنّ أمْـرَدِهِ"[1]

و زعم أن المتنبي أسقط ما في دواخله من دفائن وأحاسيس بعظمة نفسه على الممدوح، مستعينا برأي لـ (ادلر) وهو أحد تلاميذ فرويد. يقول فيه: " إن الشخص يعيش داخل السياق الاجتماعي منذ اليوم الأول لحياته ويفصح التعاون عن نفسه في العلاقات بين الطفل وأمه ومن ثم يدخل في شبكة من العلاقات الشخصية المتبادلة التي تكوّن شخصيته وتزوده بالمخارج التعويضية للكفاح من أجل التفوق) وهذا يعني أن المتنبي صاحب الأبيات أعلاه كان قد نما في بيئة أسرية ذات أبعاد اجتماعية تتصف بمفهوم الخير والشرف والجود الذي يدل قبل أو بعد مولد أطفال الأسرة التي ينتسب إليها، وبعيدا عن الارتباك الواضح في صياغة الجملة والخطأ الفاضح في إبدال (أنْ) بـ(لن) في البيت الثاني إذ أورده بهذا الشكل: (لن يقبحَ الحسنُ إلا عند طلعته) وسواء كان من عنده أم من عند غيره فشتان بين المعنيين لمن يعرف دقائق المعاني. هل يعني هذا أن كلَّ شاعر يتصف بصفات معينة (مكبوتة) (يفجر هذه المعاني) بوجه ممدوحه، ويضفيها عليه تعبيرا عما في نفسه!؟ أرى أن هذا كلام لا يصلح أن يكون دليلا ولو ظنيا على ما ادعاه.

[1] شرح الواحدي لديوان المتنبي - ص ٩٩٦

وأرى أن في أبيات فخر المتنبي واعتداده بنفسه التي تملأ ديوانه غنى عن هذا التكلف الواضح في الاستدلال على ما يريده الكاتب.

وأن الاستعانة بما أورده من اقتباس لتلميذ فرويد لا يعينه في شيء، وليس له علاقة بما ورد من معان في أبيات المتنبي.

٢- ويقول " يكاد يجمع المؤرخون أن هذا المولود بعد أن شبَّ عن الطوق تثقف في مدارس اشراف العلويين في الكوفة. وهذا ما يدعونا الى التأمل الجدي بحقيقة هذا الطفل او هذا الصبي كما يدعونا الى التفكير العميق بالمبررات التي جعلت المدارس الخاصة بأشراف العلويين توافق على قبوله في مدارسها لو لم يكن في نسبه ذا مستوى يوازي المستوى الطبقي الذي يقبل فيه الطلاب وفي تلك المدارس (الخاصة).

- ثم يستخلص من ذلك- فدراسة أحمد بن (...) اثناء طفولته في مدارس العلويين يؤكد بشكل واضح بأنه منهم أو من مستواهم. هذا إن لم يكن ابن نقيبهم او ابن رجل مهم من رجالهم حتمت عليه ظروفه او قضيته أن يغيب عن الانظار او يبتعد عن الأضواء. ... وكان المتنبي يعلم حقيقة أمره فراح منذ صغره مندفعا بأنفته واعتزازه بنفسه ساخرا من الناس أو (العامة) بفطرة شعرية قوية أو عنجهية طبقية. فمر ذات يوم في صغره برجلين من أهل الكوفة قد قتلا جرذا وأبرزاه يعجبان الناس من كبره فقال:

لقَـدْ أصْـبَحَ الجُـرَذُ المُسْـتَغِيرُ أسـيرَ المَنَايـا صَـريعَ العَطَـبْ
رَمَـاهُ الكِنَـانيُّ وَالعَـامِرِيُّ وَتَـلاّهُ للوَجْـهِ فِعْـلَ العَـرَبْ
كِـلا الـرّجُلَينِ اتّلَـى قَتْلَـهُ فَأيُّكُمَـا غَـلّ حُـرَّ السَّـلَبْ
وَأيُّكُمَـا كـانَ مِـنْ خَلْفِـهِ فـإنّ بـهِ عَضَّـةٌ في الـذّنَبْ

ومثل هذه السخرية التي نشأت معه كانت هي المنفذ لآلامه وما يضيق به صدره من آراء وأحقاد"

وأنا هنا أتفق مع الملاح في أن دراسة المتنبي في مدارس أشراف العلويين- إن صحت- فيها ما يدعوا الى التأمل ولابد من وجود سبب ما, أتاح لهذا الصبي الدراسة في تلك المدارس الخاصة -إن وجدت-، وربما كانت عائلة المتنبي ذات شأن، أو أن هذه المدارس التي أسموها بمدارس العلويين هي تلك التي تدرس الفقه الشيعي, أو أن سببا آخر هو ما سمح لهذا الطفل بالدراسة في هذه المكاتب كما سنعرض له لاحقا. وقد ذكر الأنباري في نزهة الألباء -كما أوردنا سابقا- إنّ جدة المتنبي كانت (من صلحاء النساء الكوفيات). كما إني لا أتفق معه في أن الأبيات التي ذكرها في سخريته من قاتلي الجرذ (هي المنفذ لآلامه وما يضيق به صدره)؛ لأن موقفا مثل هذا لن يمر عابرا أمام فتى عبقري بدأ يتلمس أولى خطواته في ساحة الشعر، ناهيك عن عظم نفسه, وبعد همته وشجاعته, وفطنته التي أبان عن أولى بوادرها في موضوع (الوفرة).

عندما "قيل له وهو في المكتب، ما أحسن هذه الوفرة فقال:

لا تحســـنُ الـــوفرةُ حتّـى تُــرى	منشــورةَ الضــفرين يــومَ القتــالْ
علــى فتــىً معتقـــلٍ صـــعدة	يعلُّهـــا مـــن كـــلِّ وافـي الســـبالْ

ولا أرى أن في هذين البتين (صفعة للرجل) كما ذكر الملاح بل هي إجابة من فتى ذي همة، وطموح بعيد، ونفس ممتلئة بالشجاعة أراد استعراضها أمام أساتذته أو زملائه.

و ما نقله من مجلة المقتطف عن محمود شاكر في قول الرجل " (له: يا أحمد) لا أرى أيَّ وجهٍ في أنها (تكفي للدلالة على منزلة الصبي عند اترابه واساتذته) . فبماذا ينادونه إن لم ينادوه باسمه!؟

٣- يتساءل الملاح: "لماذا تعددت أسماء أبيه وتباينت أسماء جده؟...

هل يعقل أنَّ أحداً لم يسأله ((من أنت)) ؟ أو ما أنت؟ و أبن من أنت؟ خلال السنوات التي عاشها متنقلاً في العراق وسوريا وفلسطين ولبنان وخلال السنوات التي عاشها في بلاط الحمدانيين في حلب او السنوات التي عاشها عند كافور في مصر وهل يعقل أن

انصاره وخصومه المعاصرين لم يستقصوا أخبار نشأته وهو الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ومدح وهجا وغضب ورضي؟"[١]

ولنسأل أبي الفتح عثمان ابن جني المتوفي سنة ٣٩٢ وهو أعرف بالرجل كونه كما يقول:

"تأثل بيني وبينه من وكيد المودة ومستحصد الشبكة (القرابة أو قوة العلاقة)- وسيجيبنا أنه -ابو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي"[٢] وهذا ما ذكره الجرجاني في وساطته و ما أورده المعري في رسالته[٣]. و قد ذكرنا مصادر أخرى فيما سبق، وأرى أن في هؤلاء الثلاث لقربهم من عهده، ولقائهم به أو برواته دليلا على إن اسم والد المتنبي هو (الحسين)، و هو ما اشتهر به في مجلس الحمدانيين وفي مجلس كافور وفي بغداد وفي الكوفة و عند المعتضد.

وإذن فإن التساؤلَ ينحصر في الاسم الحقيقي للجد وصحة النسب؟

أما ما ذكره من أن "صاحب (تاج العروس) قد وضع أمام اسم المتنبي كلمة الإمام واستدل من ذلك أن هذه الكلمة لا يوصف بها شخص جزافا ما لم يكن ذا صلة حقيقية بمدلولها من الناحية الدينية أو الناحية الموروثة سلاليا، ومن ثمَّ اعتبرها شاهدا على أن المتنبي إمام سليل إمام وابن أئمة".[٤]

ويبدو أن الأستاذ الملاح قد فاته أن الكثير من النحويين والأدباء والمؤرخين أطلق عليهم لقب الإمام، وهو لقب يدل على تقدم، أو تفرد، أو تميز صاحبه في علمه، بغض النظر عن الجانب الديني والسلالي، ولما كان المتنبي في رأي من وضع هذا الوصف أمام اسمه، متفردا في شاعريته، متميزا عن غيره، متقدما على من سواه؛ فلا غرابة أن يصفه بهذا الوصف، ولا دلالة فيه على الموروث السلالي كما أرى.

---

[١] المصدر السابق- ص ٣٥

[٢] الفسر-عثمان بن جني النحوي- ص٣

[٣] ينظر رسالة الغفران- ص ١٦٧

[٤] ينظر المتنبي يسترد اباه-ص ٤٢

٤- بعد حديث طويل حول موضوع (الإمام محمد المهدي بن الحسن العسكري) الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية والمولود في سامراء سنة ٢٥٥ هـ، وغيبته وهو في سن الخامسة من عمره، بما سميت بالغيبة الصغرى، واتخاذه أربعة سفراء بينه وبين الناس انتهت في سنة ٣٢٩هـ بعد وفاة آخر السفراء أبو الحسن علي بن محمد السمري كما تذكر ذلك مصادر الشيعة. فيقول: " أن الرقم (٦٩) يمثل فترة زمنية حقيقية تساوي((عمر إنسان)) بشكل معقول، أو تساوي فترة زمنية حقيقية أخفيت فيها نشاطات إنسان تطلبتها الضرورة الزمنية، فهي إذن تمثل إمّا عمر الإمام محمد المهدي، وإمّا تمثل الفترة الزمنية التي أخفيت فيها نشاطاته السياسية والمذهبية وانتهت بموت وكيله الأخير، وربما يكون الإمام محمد المهدي قد توفي قبل هذا التاريخ ولكن تلك الوفاة قطعا كانت ضمن الفترة التي عاشها أبو الحسن علي بن محمد السمري وكيلا للإمام ما بين عامي ٣٢٦-٣٢٩ ولم ير من مصلحة ((القضية)) التي تخص المسلمين ومستقبلهم وتجمعهم حول (الإمام المنتظر وظهوره) ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا اعلان ذلك. إذ ان إعلان وفاة الإمام محمد المهدي في ذلك الظرف الحرج، لاشك يمزق جوهر القضية. وأن المؤشر المنطقي لهذا الاستنتاج تنهدات الوكيل الطويلة عندما حضرته الوفاة وقوله ذو المغزى العميق((لله أمر هو بالغه))... وليس بمستبعد أن تكون التنهدات التي تنهد بها الوكيل عندما حضرته الوفاة وقوله الجريح((لله أمر هو بالغه)) بمثابة معاناة ذاتية يعانيها الوكيل باتجاه ابن الإمام.. وهل يجوز أن يكون إماما ثالث عشر أم لا يجوز ذلك من الناحية المذهبية وهل يصلح ذلك الولد أن يكون إماما أم لا يصلح من الناحية السلوكية،

٥- و للحديث عما ورد أعلاه نقول:

إن افتراض أن فترة (٦٩) هي فترة حقيقية تساوي عمر إنسان (بشكل معقول) أمر يتنافى مع الواقع أولا، ومع ما ورد في القرآن ثانيا، فالواقع قديما وحديثا يشير إلى وجود معمرين قد تجاوزت أعمارهم المائة عام وهم كثر، فلا استدلال منطقي لحصر عمر الإنسان بسبعين عاما. ومن غرائب استدلالاته قوله في مقدمة هذه الطبعة من كتابه

" أود أن اعلن على مسؤوليتي الشخصية باني لست على استعداد عقلي لتصور امكانية ان يعيش انسان أكثر من الحد الأعلى من العمر المقرر له حسب القوانين البيولوجية التي تحدد أنشطة أجهزته الجسدية مجتمعة أو منفردة كظاهرة حياتية تناولتها العلوم من جميع جوانبها بدقة تشريحية وموضوعية في عصرنا الذي نعيشه... وحاجج بعض المتقدمين وتشبث بحججهم بعض المتأخرين بان النبي نوحا عاش ما يقارب الألف عام...إن استنادهم الى الأرقام التي وردت عن أعمار أشخاص الأساطير والميثولوجيا كأساس للمحاججة... لا تخدم نظريتهم فيما إذا دققنا في حقيقة هذه الأرقام. فأمامي أرقام انقلها نصا من كتاب الميثولوجيا عند العرب للأستاذ محمود سليم الحوت (إن عبادة الأصنام تمتد إلى ابعد من نوح فبعثه الله نبيا وهو يومئذ ابن ٤٨٠ سنة فدعا قومه إلى الله ١٢٠ سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله أن يصنع الفلك ففرغ منها وركبها وهو ابن ٦٠٠ سنة) أفلا نلاحظ ان هذه الارقام جميعها تقبل القسمة على العدد (١٢) ومن هنا هل يحق لنا ان نستنتج ان كلمة سنة الواردة في اعمار ابطال الاساطير والميثولوجيا تعني الدورة القمرية اي انها تساوي شهرا قمريا واحدا فقط. ومعنى هذا ان نوحا كان ابن اربعين عاما عندما اصبح نبيا، ودعا قومه عشر سنوات ...ومات وعمره في الثمانين"

ونحن نقول أنه ليس للأستاذ الملاح ولا لغيره أن يستنتج أن السنة تساوي شهراً؛ ذلك أن قصة نوح التي أوردها كمثال، قد ذكرها القرآن الكريم، وإن الفترة الزمنية التي ذكرها القرآن لا علاقة لها بما أورده الأستاذ سليم الحوت في كتابه، ولا تقبل القسمة على الرقم (١٢). {{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت : ١٤] ولا يعقل أن يستخدم القرآن لفظة العام أو السنة في سورة أو في آية بمعنى شهر، ثم يستخدمه بمعنى آخر {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف : ٤٩] وأيضا {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ} [يوسف : ٤٧] وأيضا {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ} [المؤمنون : ١١٢] و ورد لفظ الشهر {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا

أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ }. [التوبة : ٣٦] وفي الآية الأخيرة تبيان لا يقبل اللبس في أن السنة هي اثنا عشر شهرا من يوم خلق الله السماوات والأرض إلى يومنا هذا. أما عدم القناعة بعدم امكانية تصور أن يعيش الإنسان خلافا للعمر البايلوجي الذي حددته القوانين العلمية الحديثة، فهذا شأن آخر، ليس من أولويات بحثنا الخوض فيه.

ثم يقطع بأن وفاة الإمام محمد المهدي قد حدثت في الفترة التي عاشها أبو الحسن السمري بين ٣٢٦-٣٢٩ وأن السمري قد أخفى الوفاة حفظا (للقضية) وأن إعلان وفاته سيمزق جوهرها. ويضع مؤشرا (منطقيا) لهذا الاستنتاج هي: {تنهدات الوكيل الطويلة عندما حضرته الوفاة وقوله ذو المغزى العميق ((لله امرٌ هو بالغه))}. والحقيقة أني لم أجد مصدرا يشير إلى هذه (التنهدات الطويلة) التي اتخذها مؤشرا لافتراضه، وسأنقل رواية موت السمري من كتاب الغيبة في رواية يرويها أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب قال" ... فلما كان اليوم السادس عدنا اليه وهو يجود بنفسه، فقيل له، من وصيُّك من بعدِك؟ فقال: لله أمرٌ هو بالغه وقضى."[١]

فلا وجود لتنهدات طويلة كما نلاحظ في الخبر. وأما قول السمري(لله أمرٌ هو بالغه) فهو وفق العقيدة الشيعية في الإمام المهدي يعني:(وقت ظهوره) "ليملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما"[٢].

وقوله: أن هذه (التنهدات) وهذا (القول الجريح) بمثابة معاناة ذاتية يعانيها الوكيل باتجاه ابن الإمام. وهل يجوز أن يكون إماما ثالث عشر أم لا يجوز من الناحية المذهبية، وهل يصلح أم لا يصلح ... من الناحية السلوكية. ومات الوكيل وهو يردد تنهداته ومعاناته.

[١] كتاب الغيبة- شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي-ت- عبد الله طهراني و علي أحمد ناصح-مؤسسة المعارف الاسلامية- ايران- قم-ط٣- ١٤٢٥هـ.ق-ص٣٩٥

[٢] كمال الدين وتمام النعمة- محمد بن علي بن بابويه القمي- ت- الاستاذ علي اكبر الغفاري- مؤسسة النشر الاسلامي- قم- ط٤-١٤٢٢هـ-ص ٣٧٦

ومن هذه الصورة المتخيلة للحظة وفاة السمري، يريد أن يثبت بنوة المتنبي للإمام محمد المهدي. وهو أمر غاية في الغرابة. إذ لا وجود لهذه المعاناة التي صورها، وفوق كل ذلك أن المتنبي كان عمره آنذاك ستة وعشرين عاما، وإنه سجن على إثر ادعاء ادعاه، فهل يحتاج التصريح بإمامة رجل بعمر المتنبي لكل هذه التنهدات!؟ إذا ما علمنا أن هناك من كانوا أصغر منه سنا قد قاموا بأعباء الإمامة وفق المذهب الشيعي فمحمد بن علي الرضا تولى الإمامة وعمره سبع سنوات و علي بن محمد الهادي تولى الإمامة بعمر ثمان سنوات. ثم ما معنى أن يكون المتنبي إماما وهو لا يعلم بذلك، أو لا يمارس واجبات إمامته، فلا يُعرف أنه أفتى بشيء من أمور الدين، والأمر الآخر كيف يحتار السمري وهو كما يفترض باب من أبواب الإمام الثاني عشر لمذهب الإمامية الذي يقول بأن الأئمة اثنا عشر إماما، أليس في ذلك هدم لمعتقده!؟ و ما أورده من أن هناك من قال بوجود جماعة تعتقد بأن الأئمة ثلاثة عشر فإن هذه الدعوة لا علاقة لها بالسمري كونه اثني عشري. ولو اعتقد بغير ذلك لخرج عن مذهب الإمامية، كونهم يستندون في دعواهم لأحاديث أئمتهم التي تقول بأن الأئمة من بعد الرسول اثنا عشر إماما ولأحاديث وردت عن الرسول محمد (ص) ومنها على سبيل المثال ما روي "عن جابر بن سمرة عن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال: ((لايزال هذا الأمر عزيزا يُنصرون على من ناوأهم عليه إثنا عشر خليفة كلهم من قريش)) أخرجه الشيخان وغيرهما"[1]. وهو حديث كثرت تأويلاته، وما يهمنا هو تأويل الشيعة الإمامية له إذ أنهم يعتبرونه نصا في عدد أئمتهم، ثم كيف قطع الأستاذ الملاح بموت محمد المهدي في فترة سفارة السمري، فلو حصل ذلك لأخبرهم ولا وجه للحرص على (القضية) مادام خليفته موجود، هذا أولا، وثانيا إن كان السمري كذب في هذا فمن غير المنطقي أن نصدقه في غيره، ألا يجوز لنا أن نستنج أن لا وجود لشخص اسمه (الأمام محمد المهدي) وأن سفارة السمري ومن كان قبله كاذبة؟

وإذا كان السمري صادقا وإن (الأمام محمد المهدي) موجود فعلا، وهو إمام بأمر الله كما يعتقد أتباعه، فهل هناك من مانع على الله أن يمدّ في عمره إلى (أمر هو بالغه)!؟

[1] تاريخ الخلفاء- للإمام جلال الدين السيوطي-ت- د. رحاب خضر عكاوي-مؤسسة عز الدين- بيروت-ط١-١٩٩٢- ص٢٣

أما الادعاء بأن فسلجة جسم الإنسان محددة بعمر معين فذلك راجع إلى تقدير الخالق القدير، ومن ثم هو قادر على تغيير تلك الفسلجة إذا اقتضت الضرورة لذلك. وأنا هنا لست بصدد إثبات وجود الإمام المهدي من عدمه. فهو ليس موضوع بحثنا، وإنما حديثي يجري بقدر تعلق الموضوع بإثبات صحة فرضية الأستاذ الملاح من عدمها.

ثم يقطع بأن (أهل ذاك الزمان كانوا قد علموا أو سمعوا بوجود هذا الولد)! هل يكفي ادعاء جماعة قليلة بأن الأئمة ثلاثة عشر أن يكون دليلا قاطعا على وجود ولد للإمام المهدي!؟ ولماذا لا يكون ادعاء الجماعة الأخرى بأن الإمام الحسن العسكري ليس له ولد!؟ مع العلم إن أصحاب الراي الثاني أكثر من أصحاب الرأي الأول، أم أن الأستاذ الملاح يحاول جر التاريخ لصالح فرضيته ولو بأوهن الحجج!؟

٥- "يقول الاستاذ الملاح:" بعد أن ولدت أم المتنبي طفلاً عام ((٣٠٣)) من العلوي المتخفي. والذي قلنا أن مواصفاته وظروفه الدينية والزمنية واسمه تتفق مع ظروف الإمام محمد المهدي، يشعر أصحاب الإمام بخطورة الأمر فيما إذا شاع أمر الولد، وربما كان الإمام في تلك الفترة بعيدا عن الكوفة. فحذروا الأم من مغبة المطالبة بنسبه وربما أنذروها بالهلاك، أو اضطروها على فراق زوجها مقابل احتفاظها بأبنها الرضيع."[١]

ولا أدري هل كان الخوف على الولد أم على الإمام؟ فإن كان الخوف على الإمام فكان يُفترض أن يُعلنوا نسب ابنه عند وفاته، وإن كان الخوف على الولد (المتنبي) فلماذا اضطروه للخروج من الكوفة، ومن ثم محاربته عندما (ادّعى) أنه علوي، وحاولوا قتله في الشام كما يشير إلى ذلك في قصيدته التي مدح بها أبا القاسم طاهر بن الحسن العلوي:

أتاني وعيد الأدعياء وأنّهم
أعدوا لي السودان في كفر عاقبِ

[١] المتنبي يسترد اباه- ص٥٤

ولو صدقوا في جَدِّهم لحذرتهم
فهل فيَّ وحدي قولُهم غير كاذبِ

ومنعوه من دخول الكوفة عندما أراد لقاء جدته قبل موتها.

وعبارته (أن مواصفاته وظروفه الدينية والزمنية واسمه تتفق مع ظروف الإمام المهدي) لا أدري كيف استنتج ذلك، فكنية الإمام المهدي أبا القاسم كما يدل على ذلك حديث الرسول(ص) في كتب الشيعة:" اسمه اسمي وكنيته كنيتي" ثم من أين علم أن مواصفاته تتفق مع مواصفات الإمام المهدي؟ على أية حال فإن العبارة واضحة الوهن ولا تحتاج إلى كلام كثير.

كما أن المعروف أن الإمام محمد المهدي لا يعرفه أحد سوى سفرائه، وليس متاح لأحد غيرهم اللقاء به، فكيف عرف هؤلاء أن زوج هذه المرأة هو الإمام محمد المهدي ليهددوها بإخفاء نسبه، وكيف قبل الإمام المهدي أن يبقى ابنه مجهول النسب. أليس في هذا إخلال بإمامته المفترضة، والتي من أحد أهم مصاديقها لديهم هي (العصمة). أليس في إخفاء نسب الولد وتهديد الأم ظلم لهما يتنافى مع العصمة؟ ألم يكن بوسع الإمام المهدي اتخاذ اسم غير اسمه كما فعل عيسى (المختفي) بن زيد والذي يروي لنا حكايته ابن عنبة في كتابه عمدة الطالب:" قال الشيخ تاج الدين: وكان عيسى (المختفي) بن زيد– بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع) قد تزوج امرأة بالكوفة أيام اختفائه وولد منها بنتاً وكبرت البنت وكان عيسى يستقي الماء على جمل لبعض السقائين ولذلك السقاء ابن قد شبّ فأجمع رأي ذلك الرجل ورأي زوجته ان يزوجا ابنهما من ابنة عيسى بن زيد لما رأياه من صلاحه وعبادته وهما لا يعرفانه وذكرا ذلك لامرأته فطار عقلها فرحا وظنّت انها قد حصل لها مالم تكن ترجوه فذكرت ذلك لعيسى بن زيد فتحير في امره ولم يدر ما يصنع فدعا الله على ابنته تلك فماتت

وتخلص من الواسطة... وكان عيسى قد كتم نسبه عن امرأته وابنته خوفا من يظهرا ذلك فيؤخذ."[1]

٦- وقال الأستاذ الملاح:" وقد رأينا أن المتنبي بعد أن كبر وعلم بحقيقة أبيه وأمره((من جدته)) كيف انطوى على ذلك السر وكتمه وكبته، ولم يصرح به ولم يطالب بحقه فيه وترفع على الملوك والأمراء وأهل زمانه جميعا".

واذا رجعنا إلى الروايات المتعددة والتي ذكرتها في الفصل الأول نجد بينها رواية تقول أن المتنبي (هو أحمد بن محمد) بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي وهنا لابأس أن نستل هذه الرواية... ونناقشها. تقول الرواية أن المتنبي اسمه أحمد وأبوه (محمد) وكلمة محمد هنا هي اسم العلوي المتخفي والمتزوج سرّاً. وهذا تماما يتفق مع الغموض الذي احيط بالأمام (محمد) المهدي عبر الزمان...ان التحليل المنطقي يأخذ وجها آخر في اسم الجد. على ضوء الالتباسات التي تحدث بكثرة ما بين الاسم (حسين) والاسم (حسن) والتصحيفات التي تحدث بينهما كثر. وخصوصا ضمن الخطوط التي لا تعتمد التنقيط في الكتابة".(الملاح)

و في هذا تبرز لنا عدة نقاط منها: أن المتنبي لم يكتم نسبه (المفترض)بل إن حادثة ادعائه العلوية معروفة، وقد سجن لأجله حتى كاد يهلك. و الأخرى إنّ أغلب الروايات إن لم تكن جميعها اتفقت أن اسم أبيه (الحسين) ولم أجد من ذكر أن اسمه (محمد) في المصادر القديمة، والمشكلة في كتاب الأستاذ الملاح أنه لا يذكر مصادره وإن كانت هناك إشارة في هامش هذه الطبعة تذكر أن مصدر روايته مجلة المقتطف ١٩٣٦، وهو عدد خصص لكتاب المتنبي للأستاذ محمود محمد شاكر(أبو فهر) والذي سنناقشه في مبحث قادم إن شاء الله، فهو أيضا لا يشير إلى مصدر. أما ما ذكره من أن تصحيفا حصل في اسم (حسين وحسن) والذي يزعم أنه جد المتنبي ويعزو ذلك إلى الخطوط التي لا تعتمد التنقيط، فهو أمر غريب إذ أن التنقيط وضع قبل ولادة المتنبي بأكثر من قرن. وفرضية التصحيف غير واردة إذا ما عرفنا أن معاصري المتنبي ومنهم

[1] عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب- جمال الدين احمد بن علي الحسيني (ابن عنبه)- دار الاندلس- النجف- ١٩٨٨- ص٢٨٧

ابن جني الذين رووا عنه ديوانه وذكروا اسمه بأنه (أحمد بن الحسين)، ولا يعقل أن يكون التصحيف قد حدث في جميع الروايات المعاصرة له. كما إننا أوردنا فيما ذكره ابن العديم وغيره: إن اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبي فكون اسم جده الحسن (إذا ما صحت الرواية) واضح ولا يحتاج تصحيفا. على أن رواية أن اسم أبيه محمد هي رواية موجودة أو شاذة والبناء على الشاذ لاشك سيكون شاذا أيضا، ولو استعنّا بعلم أصول الحديث لو جدنا أن الرواية التي تقول أن اسمه: احمد بن الحسين هي صحيحة بذاتها لاتصال سندها اولاً، وتعدد مصادرها ثانيا، وقد تصل إلى حد التواتر، فهل يصح أن يترك ما هو متواتر ويُبنى على ما هو شاذ؟!

٧- يقول الملاح" قلنا ان وكيل الامام قد توفي واستلم الوكالة عنه عام ٣٠٦ للهجرة رجل آخر هو (ابو القاسم الحسين بن روح ابن ابي بحر النوبختي) وبهذا تكون الظروف الموضوعية قد تغيرت بالنسبة (لجدة المتنبي) وقد أصبح عمر حفيدها ثلاث سنوات فتوافرت فرصة ذهبية لها لكي تتصل بالوكيل الجديد وتطلب منه أن يعمل على تثقيف الطفل وادخاله مدارس العلويين آبائه واجداده فيبدي ذلك الوكيل مرونة وتساهلا في هذا الامر – على ما يبدو- ويوصي بالطفل- وربما- قد اكد على الجدة مقابل هذا التساهل ان تبقى محتفظة بسر نسبه. وان يبقى معروفا بين الناس باسم مربيه الشيخ الطاعن في السن – الملقب بعيدان السقاء- الحسين بن عبد الصمد الجعفي. وفي مثل هذا الموقف لا بد للجدة ذات النظر البعيد والعقل الراجح ان توافق. وهذا التغير جعل ابا الفرج الاصفهاني بعد فترة من الزمان يستغرب ويتعجب... ويقول نصاً (إن احمد بن عبدان السقاء اختلف الى كتاب فيه اولاد اشراف الكوفة فكان يتعلم (دروس العلوية) شعرا ولغة واعرابا فنشا في خير حاضرة).

وكلمة (دروس العلوية) الواردة في هذا النص تكفي تماما للدلالة على ان ادخال (احمد بن محمد) الى هذا الكتاب بالذات كانت لأخذ دروس خاصة لأمر أريد لهذا الطفل، واما علوم الشعر واللغة والاعراب فكانت علوم مساعدة للعلم الأصلي. الذي اريد له

وهو (دروس العلوية) وعمره اربع سنوات ومن المعروف ان مثل هذه الدروس في ذلك الزمان لا تعطى الا للعلويين."

وهذا كلام متناقض ويفتقد الى الرصانة والتمحيص، ففي أوله يقول ان ادخال المتنبي الى تلك المدارس كان بطلب (جدة المتنبي) وتوسلها ووافق عليه (الوكيل) بشروط، ثم في ختامه يقول ان ادخال (احمد بن محمد)الى هذا الكتاب بالذات لأخذ دروس خاصة (لأمر اريد لهذا الطفل). ومع ذلك فإنهم لم يسعوا إلى تمكين هذا الفتى حتى بعد أن كبر من (الأمر الذي أريد له) وهذا أمر بالغ الغرابة! ثم يفترض أن هناك (دروس علوية) لا تعطى إلا للعلويين. ولا أدري من أين أتى بذلك!؟ وما نقله عن أبي الفرج الأصفهاني ولا أدري أين ذكر الأصفهاني هذا الكلام!؟ (فمشكلة الملاح أنه لا يذكر مصادره) والمعروف أن ابا الفرج الأصفهاني لم يترجم للمتنبي في كتابه الأغاني. ويبدو أنه نقل هذا الكلام من خزانة الأدب للبغدادي ولم يتحقق من المصدر الذي ذكره صاحب الخزانة، وهو كتاب الواضح في مشكلات شعر المتنبي لابي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني وهو قد نقله مرويا عن ابن النجار الكوفي وربما أخطأ في النقل. ولم يذكر أحد أن هناك دروسا خاصة تعطى للعلويين لا من القدماء ولا من المتأخرين، ورغم ذلك فالنص يقول (دروس العلوية شعرا ولغة واعرابا) وواضح ما في العبارة من إرباك فلم يعطف الشعر على الدروس كما هو واضح، وإن افترضنا أن هناك دروسا فهي الدروس الخاصة بالدين والفقه والعقائد الشيعية، وهي ليست خاصة بالعلويين. ولو سلمنا بصحة الرواية فعبارة أحمد بن عبدان توحي بأن الناقل أو الراوي في نفسه شيء، فلم يذكر أحد من المؤرخين اسم المتنبي بهذا الشكل الذي فيه ما فيه، ومن الجدير بالإشارة أن كتاب أبي القاسم الأصفهاني هذا هو من الكتب التي وضعت لغرض البحث عن مثالب المتنبي فمؤلفه من المتحاملين عليه.

والأمر الآخر والخطير إن ما يظهره أو يوحي به الأستاذ الملاح من التشديد على كتمان النسب وفي رسمه لطبيعة تعاملهم معه، وكأن الصبي ابن غير شرعي، ثم يفترض إن

الأمر كله يدار من الوكيل مع إن الأب موجود، وهو كما يُفترض القائد المطاع والذي يصدر عنه كل شيء ويُرجع إليه في كل مسألة.

٨- بعد أن ينقل الأستاذ الملاح حديث ابن الأثير عن أحوال بغداد سنة ٣٢٩هـ يقول:" ماهي الامور المهمة التي جعلت المتنبي يقتحم الجوع والوباء والموت ويأتي الى بغداد والناس تفر منها؟ ولم يكتف بذلك بل دعا جدته ايضا بالرغم من خطورة مجيئها على حياتها. فحالته تلك اذاً كانت مصيرية وعائلية واهم من الوباء والموت لا تقبل التأجيل ولا يمكن ان تكون مثل هذه الحالة غير الامل في اللقاء مع والده او الاستماع الى وصية منه ولكن القدر كان اقوى، فتوفيت جدته في الكوفة قبل وصولها الى بغداد وهي الشاهد العدل الوحيد الباقي على حقيقة نسبه وتوفي وكيل الامام الرابع والأخير في هذه السنة ايضا معلنا قبيل وفاته انتهاء الغيبة الصغرى مما يشير بشكل غامض الى ان الامام محمد المهدي قد توفي في هذه السنة أو قبلها بقليل، فراح الوكيل يتمتم وهو يعاني سكرات الموت (لله امر هو بالغه). فاسقط بيد المتنبي".

لقد عودنا الاستاذ الملاح أن يسير على التواريخ التي ذكرها الأستاذ محمود شاكر لمسيرة حياة المتنبي وليته استمر على ذلك، ولكنه آثر أن يلوي عنق التاريخ؛ ليجلب أبا الطيب إلى بغداد في سنة ٣٢٩هـ، وأن يسرق من عمر جدته ست سنوات فيميتها في هذه السنة! كل ذلك من أجل أن يربط فرصة إثبات بنوة المتنبي للإمام محمد المهدي، مع إنه في فقرات من كتابه يتهم المؤرخين بتزوير التاريخ! فليت شعري ماذا يسمي هذا؟ وهل كان الإمام جاهلا بوجود ولده؟ وقد ذكر الأستاذ الملاح أنه أدخل إلى الكتاب ليتعلم (دروس العلوية!) إعدادا له (لأمر أريد لهذا الطفل) بنص عبارته وبوصية من الإمام أو وكيله، فهل يعقل أن يترك هذا الطفل الذي تم إعداده بهذا الشكل من الإهمال؟ وهل يحتاج إلى جدته لتكون شاهدا له؟

يبدو أن التخبط وضعف الحجة هو الذي جعل من الأستاذ الملاح يلوي عنق التاريخ علّه يعين فرضيته التي لا أساس لها سوى وهمه ومخالفة الحقائق.

٩- ثم يقول" ومن الطوائف التي لاتزال تحتفل بمولد المتنبي الطائفة العلوية النصيرية. ويجب أن لا ننتظر العثور على وثائق مكتوبة عن قدسية المتنبي عند بعض فرق الشيعة لأن تاريخ هذه الفرق يشير إلى انها كانت معرضة للتصفية الدموية كلما أتيحت فرصة لاتهامها بالزندقة او اخذها بالغلو لذلك تطورت تعاليمها الى طقوس باطنية يتوارثها الأبناء عن الآباء عن الأجداد بتكتم وحذر، ولكننا في وقتنا الحاضر قد نسمع همسا عن معتقدات هذه الطوائف الباطنية...وعلى سبيل المثال ما تتناقله بعض هذه الطوائف من ان المتنبي (امام) ولكنه من الأئمة غير المعصومين باعتبار ان الأئمة المعصومين هم الاثنا عشر فقط ويرثهم غير المعصومين.

فهل يمكننا ربط هذا الهمس المكتوم بما جاء في (تاج العروس) عن تسمية المتنبي بالإمام وهل نقدر ان نربطه بديباجة الطبعة الحجرية المطبوعة (في المطبع المحمدي في المنبئ) وقد وصف اصحاب الطبعة المتنبي (بإمام الفضلاء وهمام الأدباء)... لا شك اننا نقدر على ربط ذلك الى حد ما. فيما اذا اطلعنا على اعتقاد بعض هذه الملل (بوجود العالم الشيعي المأمون الصادق في زمان الغيبة قائم مقام الأئمة ليعلم رعيتهم وهو إما مطاع وإما غير مطاع عرفه من عرفه وانكره من انكره)... والاولياء لا مانع من صدور الصغائر عنهم – شرب الخمر-."

الظاهر أن الأستاذ الملاح لم يكتف بلي رقبة التاريخ فراح يلوي رقبة الدين لينصب المتنبي إماما، وكون المتنبي قد شرب الخمر فقد عد الملاح شرب الخمر من الصغائر، ولا أعتقد أن فرقة من المسلمين تقول بذلك. ثم راح يفترض أن هناك همسا من بعض الفرق الباطنية بإمامة المتنبي وسنده في ذلك الأستاذ المحامي فهد المولى نقلا عن أحد المطلعين على معتقدات الفرق الباطنية من الشيعة. ومع إجلالنا لمن ذكر إلا أن الأدلة لا تؤخذ هكذا. أما موضوع وصفه بالإمام فقد ناقشنا ذلك فيما سبق. ولا أدري ما دخل قدسية المتنبي بالزندقة والغلو الذي جعل هذه الفرق تخشى من التصفية الدموية بسببه، فتحوله إلى طقس باطني يتوارثه الأبناء عن الآباء. أليس فكرة الإمام الغائب أكثر خطرا وتهديدا على الشيعة من إمامة المتنبي الذي قتل؟ ثم متى كان المتنبي

(مأمونا صادقا قائما مقام الأئمة ليعلم رعيتهم) اللهم إلا إذا كان يعلمهم الشعر، فنحن نشهد بأنه إمام الشعراء حتى يولد من هو أفضل منه.

١٠-يقول في شرحه لبعض أبيات مرثية المتنبي لخولة أخت سيف الدولة الحمداني:"

يا أختَ خيرِ أخٍ يا بنتَ خيرَ أبِ

كنايةً بهما عن أشرفِ النَّسَبِ

أود أن أقف قليلا عند هذا البيت لأستفهم. ماذا قصد ابو الطيب بقوله (يا اخت خير اخ)؟ جميع الشراح يقولون انه اراد (يا اخت خير اخ لك) الذي هو علي الحمداني الملقب بسف الدولة. بينما أراه قصد به (يا أخت خير أخ لك ولي) في آن واحد. وبهذا يقرر انه من سيف الدولة بمنزلة أخ قبل أن يكون بمنزلة شاعر. تجمعهما قضية واحدة هي القضية العلوية. ورب معترض يقول أن الجملة الثانية من الشطر (يا بنت خير أب) تنقض هذا الشرح. فان كان سيف الدولة اخا لأبي الطيب مجازا بالنسبة للعمر والقضية والمعاصرة. فكيف يكون ابو سيف الدولة ابا للمتنبي أو ابو المتنبي ابا لسيف الدولة؟ ان الجواب عن هذا الاعتراض بين ايدنا على مستوى الانتساب القبلي والعشائري. فعندما ينتسب الناس كلهم الى آدم يعنون العرف في تجاوز الفروع للوصول الى الأب –العلم- الذي تربطهم به رابطة القضية او النسب. وهذا ما قصده المتنبي بقوله(يا بنت خير أب) ... يا بنت خير اب لي ولك الذي هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي تجمعنا به انا وأنت عوامل القضية العلوية بالنسبة لك وعوامل النسب بالنسبة لي... وكلمة كناية ارى المتنبي اختارها بعناية كما يدل موضعها من البيت لتورية المعنى العميق الذي قصده من دون ان ينتبه الى ان جملة (اشرف النسب) تنم عن ذلك القصد وتفصح عنه وتفضح الكناية.

فهل هذا يكفي؟ لأقل مع المتنطعين انه لا يكفي ولكن هل نقدر على أسلوب المتنبي نفسه في تخطي الأسماء المباشرة للوصول إلى الاسم العلم؟ فراح يسمي معاوية بن أبي

سفيان (بابن حرب) كما يشير بغير حذر إلى علويته في تسمية علي بن أبي طالب بخير الخلفاء والأنام بلا تردد... وذلك في أبيات ثلاث مدح بها سيف الدولة بعدما هزم عساكر بن طغج وجلاها عن صفين.

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له.... إلخ"

وقد تم ذكر الأبيات في الفصل سابق.

يبدو أن الأستاذ الملاح وكعادته يريد ليَّ الكلام ليصل به إلى غايته تعسفا، فإن بيت المتنبي واضح الدلالة ولا يحتمل هذا التعسف في تحريفه عن مقصده، فكلمة خير أخ وخير أب لا يبعدان في مرماهما عن خولة، وإضافة شبه الجملة (لي) هذه، إضافة لا دليل عليها وليست في محلها و الأبيات لا تحتمل كل هذا التعسف في التأويل، فتأويل عبارة (يا بنت خير أب) بأنه يقصد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب أمر في غاية الغرابة وأبعد ما يكون عن الواقع، فنسبة الناس الى آدم ليس من باب الانتساب للأب العلم وإنما هي من باب إيراد المعنى الجنسي، وقد ورد في الحديث الشريف:((كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابين)) وجاء في القرآن قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} الإسراء(٧٠). وأما كلمة (كناية) وكونها تورية (للمعنى العميق الذي قصده) فلا أدري من أين أتى بذلك، والمعنى واضح لا لبس فيه. وهو إنني اخاطبك بأخت خير أخ وبنت خير أب فإن في هذا كناية عن أشرف النسب، وموضع الكناية هنا في صيغة الخطاب إذ عندما يكون أبوها خير أب وأخوها خير أخ فهو دلالة على أن ذلك النسب هو أشرف نسب. ولا علاقة لهذا بالنسب العلوي وكونه أشرف نسب، فإن مبالغات المتنبي قد ملأت ديوانه، وخذ مثلا من قصيدة مدح بها أمير حمص يقول:

من قال لست بخير الناس كلهم

فجهله بك عند الناس عاذره

وهذا نموذج من نماذج سنذكرها في باب آخر من بحثنا إن شاء الله، وقوله أن المتنبي (لم ينتبه) أن عبارة أشرف النسب تفصح عن مقصده وتفضح الكناية، فالأمر على عكس ذلك يا سيدي بل أنت الذي غابت عنك النباهة أو غيبتها؛ لتجر الكلام إلى مورد بعيد.

ثم يورد مثالا لتخطي المتنبي النسب المباشر إلى النسب (العلم)، بإيراده أبيات مدح فيها سيف الدولة، ووصفه بأنه يشبه(عليا) في صفين، ووصف جيش ابن طغج بأنه يشبه جيش معاوية، وكنى عنه بابن حرب فإن لهذه الكنية دلالتها التاريخية والبلاغية، فدلالتها التاريخية: أن مخاطبته بهذه الكنية وردت كثيرا قبل المتنبي وبعده، ودلالتها البلاغية هي بقصد تنكيره مقابل اسم (علي) الذي هو علم بذاته. و أما مسألة وصف علي بخير الخلائف تدل على علوية المتنبي التي يفصح عنها دون تردد. فهذا من المضحكات، فإن وصف علي بن أبي طالب بهذا ليس محصورا بالعلويين، وإنما هذا هو رأي الشيعة وربما تعدى إلى غيرهم أيضا. ومن لا يعرف أن المتنبي شيعيا وهو ابن الكوفة و نتاج مدارسها، وهو شاعر الدولة الحمدانية المعروفة بتشيعها. ولكن الأستاذ الملاح يريد من كل ذلك أن يغرد خارج السرب.

ولا أريد أن أطيل وأسهب في مناقشة هذا الكتاب الذي لم يوفق صاحبه في مبانيه واستنتاجاته فراح يضع من عنده أو من افتراضات لا أساس لها وربما الجأته الحاجة لإثبات صحة ادعائه بتحريف التاريخ وليَّ الحقائق، رغم أن هناك الكثير مما نشكل عليه فيه. ولكن بقي شيء واحد أود أن أشير إليه دون أن اطيل النقاش فيه، وهو موضوع تطبيقه الرياضي والذي ظنه فتحا سيستطيع من خلاله التدليل على بنوة المتنبي (للإمام محمد المهدي) و طالب الرياضيين بإثبات صحة تطبيقه النظري مستبعدا الأدباء والمؤرخين وأصحاب الملل والنحل! فنقول: يا سيدي لا نناقشك في مباني النظرية الرياضية وإنما نناقشك في تطبيقك وحشرك لنظرية رياضية لا علاقة لها بالأنساب وتريد من خلالها أن تثبت نسبا، فلو جاز ذلك لما احتاج العلماء إلى البحث في علم الأنساب أو في تحاليل الـ(DNA) ولصار بإمكان أي شخص أن ينتسب

لأي شخص بفرضية رياضية. ثم إنك افترضت أشياء ليس لها واقع واستندت على ظنيات وتحريفات لا أساس لها، أما رواية النوبختي التي استندت عليها فقد أشبعها علماء الشيعة بحثا وتفنيدا، وإن صحت فإن خبر الواحد لا يمكن أن يكون قاعدة يبنى عليها، وأما فرضية أن النصيرية يحتفلون باطنيا بالمتنبي على أنه إمام فهذا من الخيال ولا دليل عليه. وأما أن الشيخية يقولون بإمامة الأمام غير المعصوم بعد الأئمة المعصومين، وافترضت أن المتنبي من أولئك الأئمة غير المعصومين فلم تأتنا بدليل من كتبهم يصرح بذلك.

ومن هنا فالواضح إن ما افترضه الأستاذ عبد الغني الملاح في كتابه (المتنبي يسترد أباه) هو مجرد تحريف للحقائق وتزييف للتاريخ وتلقف أعمى لفرضية الأستاذ محمود محمد شاكر، من دون تمحيص أو تحقيق منطقي. وسنعرض لمناقشة كتاب الأستاذ شاكر في المبحث التالي.

المتنبي للأستاذ محمود محمد شاكر (أبو فهر)

وكتاب الأستاذ محمود شاكر هذا قد بذل فيه المؤلف جهدا بيناً، وقام بتحليل الروايات المتعلقة بحياة المتنبي تحليلا مميزا، وتفحص الرواة بدقة فأشار إلى من يستوجب الشبهة في روايته؛ لما وراء ذلك من غايات كيدية ناتجة عن إحن وأحقاد مبعثها شخصية المتنبي المترفعة وحدة طباعه ومزاجه، وربما غلبته طبائع البدوية التي تطبع بها صغيرا، فجعلت منه صعب المراس متجاف بعض الشيء. ناهيك عما امتلأت به نفسه من طموح في طلب الإمرة والرياسة فلم تتهيأ له وباءت مساعيه بكل أصنافها بالفشل، فانعكس ذلك على شخصيته، فراح يعوضه بهذه الأنفة والكبر و الإعتداد المفرط بالنفس في تعامله مع الناس ملوكهم و أشرافهم وعامتهم، حتى ابتدع كما أشرنا صيغة في الخطاب لم يسبقه إليها أحد في المدائح، فتراه أما أن يسبق مدحه لممدوحه بفخره بنفسه وتعظيمه لشأنه أو يختمه بذلك، وقد يضع نفسه في ذات مقام الممدوح، وقد ذكرنا ما اشترطه على الملوك من إنشاده الشعر وهو جالس، وعدم تقبيل الأرض بين أيديهم وهو مالم يسبقه إليه أحد، ولا جرأ عليه أحد من بعده، وفوق كل هذا وذلك فقد استحوذ على قلوب الملوك وأصحاب الشأن، وشغلهم عمن سواه، فطلبوا ودّه و وصلوه بما لم يصلوا أحدا غيره، فكان نصيبه من كل ذلك حسداً وغلاً امتلأت به صدور البعض، و تسربلت به نفوسهم، فراحوا يتتبعون عثراته ويستقصون سيئاته، ويبحثون عن مثالبه، فألّفوا في ذلك المؤلفات ووصموا قلائده بالسرقات، ثم لم يكفهم ذلك، فاختلقوا الروايات التي تحط من قدره وتغض من شانه، وتتهمه في نسبه، وتشكك في عقيدته، ولم يكن ذلك من دأب معاصريه ومن تلاهم من اللاحقين، بل تعداه إلى من هم في عصرنا من الباحثين، ولأن كان مبعث ذلك عند الأوائل الحسد، و عدم التحقق، فإن مبعثه عند المتأخرين طلب الشهرة، و ربما تعدى إلى غير ذلك وخاصة لدى المستشرقين، وربما عرضنا إلى شيء من ذلك في قادم المباحث.

أما الأستاذ محمود شاكر فقد اجتهد ما وسعه الاجتهاد، وبين بما في آراء بعضهم من الفساد، واستعمل فكره في تحليل الروايات واستنبط من فحوى بعض قصائد أبي الطيب ما رآه يسند فرضيته، ولم يقل إنّ ما اجتهد فيه حقيقة لا غبار عليها، ونحن نؤيده في بعض ما رآه، ونختلف معه في البعض الآخر، ومن ذلك:

١- قال الاستاذ شاكر" إن مدح المتنبي سيف الدولة قد أحفظ عليه بني أسد وبني ضبة حتى كان من أمرهم بعد معه ما كان- على ما نذهب اليه- من أنهم قتلوه بالعراق،... ويقول رواة الديوان: إن أبا الطيب لم ينشد سيف الدولة هذه القصيدة، ولا نظن إن ذلك يكون دليلا على إنه لم يلق سيف الدولة في سنته تلك، بل الراجح عندنا إنه لقيه وحدثه، واتصل بينهما المودة قليلا قليلا، وفي القصيدة أبيات تدلُّ على أن سيف الدولة (وكان صغيرا في مثل سن المتنبي) أفضل عليه بعض الإفضال وأكرمه وأحبه."[١]

وقصيدة المتنبي التي يشير إليها الأستاذ شاكر هي التي مطلعها:

ذكـــر الصبـــا و مرابـــعِ الأرْآمِ جلبت حِمامي قبلَ وقتِ حِمامي

قال ابن جني في الفسر: "وقال[المتنبي] وقد كان اجتاز سنة إحدى وعشرين سيفُ الدولة برأس عين، وقد أوقع بعمرو بن حابس من بني أسد وبني ضبة ورباح بن تميم، ولم ينشده إياها حينئذ، فلما لقيه دخلت في جملة المديح"[٢] وابن جني هو أوثق من روى أشعاره، وقد قرأها عليه، وكان يراجعه في مناسباتها و الاستفهام عن بعض معانيها. ولذا فنحن نرى إن أبا الطيب لم ينشده هذه القصيدة في تلك السنة، ولو لقيه لأنشده إياها، وقد كان في ظرف أحوج ما يكون فيه إلى إفضاله. والقصيدة واضحة ليس فيها ما يشير إلى فضل أو لقاء أو محبة ،سوى مديح مترجٍ أو معجب على أكثر تقدير، ولذا فمن غير الممكن أن تكون هذه القصيدة هي السبب في مقتله كما نوه الأستاذ شاكر.

---

[١] كتاب المتنبي- محمود محمد شاكر- ص٢١٧

[٢] الفسر- ج٣-ص٤١٩

٢- يقول الاستاذ شاكر:" تزوج رجل من العلويين، ولا جرم ان يكون من كبارهم بنت جدة المتنبي، فحملت منه ووضعت(أحمد بن الحسين)(وهذا الحسين غير عيدان السقاء) (ممكن ان يكون عيدان السقاء هذا جده لامه) ولأمر ما اريد هذا الرجل العلوي على طلاق امرأته وفراقها، وحمله العلويون على ذلك ففارقها وطلقها، فرجعت الى امها بجنينها او طفلها، وحزنت حزنا أهلكها، فاستلها الموت وذهب بها، وبقي الطفل فكفلته جدته وتعهدته وقامت بأمره، حتى بلغ مبلغ الفتيان، ودلته على الطريق بعد ان صرحت له بحقيقة أمره، وصحيح نسبته، وكان من حزمها ان حذرت الفتى عواقب التصريح بأمر نسبه، وأخذت عليه المواثيق والعهود، بحبها له وحبه لها، وأنه ان فعل كان في ذلك هلاكها وهلاكه، فبقي على ذلك متململا، حتى كان من أمره ما كان من ادعائه العلوية بالشام، فقبض عليه، فاضطر الى الاخلاد والتسليم، وحرص على ان يطيع امر جدته، بعد ان علم حزمها وصواب رأيها، واخلاصها لها المشورة ومحضها له النصيحة."[١]

يبدو أن الأستاذ شاكر عندما كتب هذا الرأي كان متأثرا بالروايات المصرية التي تصور زواج ابن أحد الباشوات من امرأة من الفلاحين سرّاً، وعندما تحمل جنينا يجبر الوالد الإبن على فراقها؛ لأنها من مستوى لا يليق بنسب الباشا! ونسي الأستاذ شاكر أن الكثير من أشراف العلويين وغير العلويين في ذلك الزمان كانت أمهاتهم من الإماء، ولم يكن في ذلك حرج أو بأس أو منقصة للجنين، فخذ لك مثلا يا سيدي، إن الإمام علي بن الحسين زين العابدين أمه أمة قيل إنها شاه زنان بنت كسرى او شهربانو، والإمام موسى بن جعفر أمه أمة، وكذلك محمد الجواد وكذلك علي الهادي وهؤلاء سادة العلويين وأئمتهم، فان كانوا لم يجدوا مثلبة في الزواج من الإماء والإنجاب منهنَّ، فما المثلبة في الزواج من ابنة (سقّاء جعفي صحيح النسب) كما قيل، وهي بعد بنت امرأة همدانية من (أفاضل نساء الكوفة). ومن ثم كيف سمحوا لامرأة علوية أن ترضعه بلبانها، بل افترض الأستاذ شاكر إنها أم عبيد الله العلوي المشطب ولا نستبعد ذلك،

[١] كتاب المتنبي- ص ١٧١

فإن حصل ذلك وكبر الولد ورأوا أنه لا عيب فيه بل إنه فتى يمتلك من الشجاعة والنباهة ما يملأ العين، أفلا استثنوا ورجعوا عن أمرهم الأول!؟ لا شك أن فرضية كهذه يبدو عليها التأثر الواضح بما كان عليه المجتمع المصري أيام الباشوات أو ما صورته لنا الروايات والأفلام المصرية، ويسند الأستاذ شاكر كلامه بقصة نقلها عن كتاب(الوزراء والكتاب) للجهشياري يزعم فيها صاحب الكتاب: أن أبا جعفر المنصور تزوج بابنة رجل كان يتخفى عنده قبل أن تقوم دولة بني العباس فحملت منه وأراد أن يفارقهم، فأعطاها قميصه وخاتمه، وقال لها: إذا صار عندك ولد وسمعت أنه قام في الناس رجل اسمه عبد الله بن محمد ويكنى أبا جعفر ،فصيري إليه بولدك، فلما قام أبو جعفر وكبر الولد صار يعيره أترابه بأنه لا يعرف أباه فاشتكى لأمه فقالت له بلى والله إن لك أب وهو القائم بالملك، ثم تستمر الحكاية إلى أن يقتل الولد من قبل المورياني الذي عهد أبو جعفر المنصور له بالولد"[1] وقصة كهذه بينة الوضع من عدة جوانب: أولها: أن المنصور لم يخبر المرأة باسمه وإنما قال إن قام بالملك رجل كذا أوصافه فاذهبي إليه. فمن أين عرفت أن الخليفة أبا جعفر المنصور هو أبوه. وثانيها: ما الذي منع المنصور من إعلان بنوة ذلك الفتى بعد أن أصبح خليفة؟ وثالثها: كيف تجرأ هذا الكاتب المورياني أن يقتل طفلا عهد به الخليفة له وقد رأى اهتمام المنصور به؟ و رابعها: هل في كثرة اهتمام المنصور بالفتى سببا قويا يدعو إلى المخاطرة بقتله؟

وعدم قبولنا بهذه الرواية لا لأننا نقول بامتناع التصديق بزواج المنصور في تلك الفترة، وإنما لما في الرواية من ضعف، ثم إن المنصور كان متخفيا – كما يفترض- لأنه كان صاحب دعوة، وكان مطلوبا من قبل الأمويين، وهذا أمر لا غرابة فيه في ذلك الزمن، غير أن مقبولية هذه القصة وأمثالها أن المانع من إعلان الزواج معروف، هو خشية ذلك المتخفي على نفسه، ولا يعرفه أحد غير بعض الخواص، وفترة التخفي لن تدوم بل تنتهي بمجرد انتهاء الأسباب، ومن غير الجائز أن يضطر المتخفي وهو صاحب دعوة دينية كما يفترض أن ينكر نسب ابن له.

[1] كتاب المتنبي- ص ١٧٧الى ١٧٩

٣- وقال الاستاذ شاكر في معرض تعليقه على قصيدة أبي الطيب في رثاء جدته بعد أن أورد الديباجة التي قدمت بها القصيدة في الديوان:" إنه حين ورد عليه كتاب جدته أزمع الرحيل من الشام إلى الكوفة ليلقى بها جدته، فبلغ الخبر مشيخة العلويين، فذهب بعضهم إلى جدته وأبانوا لها سوء رأيها، ونهوها أن يكون لقاء ولدها من همّها، وأخبروها أنهم أجمعوا رأيهم من منعه من دخول الكوفة، بعد ما كان من أمره وهو في الشام، من إظهار العلوية، ورغيته في تحقيق نسبته إلى العلويين، فلما فجئهم الخبر بورود صاحبهم (المتنبي) على طرف الكوفة، خرجوا إليه وأنذروه أن يكون ذلك من إرادته بعد فضوله في الشام، وأمروه بالانحدار إلى بغداد، ورجعوا إلى جدته فأيأسوها من لقائه بتا، ... فلما ماتت المسكينة ثارت نفس الرجل ثورة اليأس، وخاف أن يستعلن للعلويين بالعداوة وهو ببغداد: أن يقتلوه من أجل ذلك، فأضمر ما في نفسه، وأشار إلى هذه المعاني من طرف خفي. ويحسن أن نذكر هنا أن المتنبي خرج آخر مرة من الكوفة مرغما على ذلك الخروج."[١]

هذا كله ناتج عن تأويل جملة (ولم يمكنه من دخول الكوفة على حالته تلك). وإذا رجعنا إلى تاريخ وفاة الجدة والذي ذكره الأستاذ شاكر في كتابه سنجده في عام ٣٣٥هـ، ثم نعود إلى (عام ٣٢٣هـ) لنجد أن المتنبي قد عاد إلى الكوفة وبقي فيها إلى عام ٣٢٦هـ ثم غادرها إلى الشام، وفقا لما ذكره الأستاذ شاكر. فإذا علمنا أن المتنبي قد ادعى (العلوية) عام ٣٢١هـ ،-وفقا لما افترضه- وإنه أطلق سراحه من السجن عام ٣٢٣هـ. فهل كان خبر ادعائه العلوية لم يصل بعد إلى العلويين الذين منعوه من رؤية جدته في سنة ٣٣٥هـ؟ أمر لا يمكن تصوره. فإذن لماذا لم يمنعوه أول مرة من دخول الكوفة، ومنعوه في المرة الثانية مع إن الفترة الزمنية بين الواقعتين أكثر من عشر سنوات!؟ من هنا فإننا نرى أن فرضية منعه من دخول الكوفة وفق القصة التي ذكرها وبسب ادعائه العلوية أمر لا يستقيم مع المنطق، ولا شك أن المتنبي مُنع من دخول الكوفة ولكن لأسباب أخرى سنعرض لها في قادم المباحث.

---

[١] كتاب المتنبي-ص ١٧٢ و١٧٣

٤- ويقول الأستاذ شاكر في موضوع السجن:" ولما طال عليه الأمد في السجن، لجأ الى الحيلة في الخروج منه، فكتب الى ابن طغج يستعطفه، ويفند ما رمي به من إرادة الخروج على السلطان، فكان مما كتب:

بيـــدي أيُّهـــا الأميـــرُ الأريـــبُ لا لشـــــيء إلا لأنـــــي غريـــــبُ
أو لأم لهـــــا، إذا ذكرتـــــي، دمُ قلـــبٍ بـــدمعِ عـــينٍ يـــذوبُ
(إنْ أكـن قبـل إن رأيتـك أخطـأ تُ فـــإني علـــى يـــديك أتـــوبُ
عائـــبٌ عـــابني لـــديك، ومنـــه خُلقَـتْ في ذوي العيـوبِ العيـوبُ)

إلا أن سعي الفاطميين والعلويين في إبقائه في السجن، وما أشرنا له من خوف والي الشام من الحدث الذي أحدثه أن يكون من قبل بني حمدان لم يصغِ إليه سمع الأمير فبقي في سجنه إلى سنة ٣٢٣.

وقد رويت له القصيدة التي كانت السبب في إطلاقه، وفيها إشارة إلى كل هذا الذي ذكرنا لك، ويحسن هنا أن نلم ببعضها، لتتبين ما أرخنا لك من التاريخ."[١]

ويذكر مقطعا من قصيدة المتنبي التي مطلعها:

أيـــا خدد اللهُ وردَ الخـــدودِ و قدَّ قدودَ الحسانِ القدودِ.

وهنا لنا عدة اعتراضات نسجلها على ما أورده:

أ- إنَّ ادعاء المتنبي ما ادعاه لا يمكن أن يكون في عام ٣٢١هـ، إذ أن الثابت ومن خلال تاريخ قصيدته في مدح سيف الدولة والتي لم يسمعها إياه، أنه جاء الشام في تلك السنة، ويؤيد ذلك رواية أبي معاذ اللاذقي، وليس بوسعنا أن نحدد في أي شهر منها، وأغلب الظن أنه في منتصفها، فكيف يمكن لشخص

[١] كتاب المتنبي- ٢٢٥ و٢٢٦

أن يشرع في دعوة وهو بعد لم يستقر ولم يتعرف إلى الناس، وكيف لهؤلاء الناس أن يستمعوا له وهم لم يعرفوه بعد!؟

ب- إنه من غير الممكن أن يكون قد سجن في ذات العام الذي وصل به إلا إذا كانوا يترصدونه قبل قدومه، وهذا من المحال لأن الرجل لم يعرف بعد.

ت- إن خطاب المتنبي في قصائده التي أرسلها من السجن لم يكن لابن طغج، وواضح من صيغة الخطاب، وما به من ترج، وما يذكره من طول مكوثه في السجن إن ذلك في أواخر أيامه في السجن، و الراجح أنه سُجن في أواخر سنة ٣٢٢هـ أو أوائل سنة ٣٢٣ وخرج من السجن في أواخر ٣٢٤ هـ أو بداية ٣٢٥هـ ، وقد ذكر الدكتور عبد الوهاب عزام تاريخ (٣٢٢إلى ٣٢٤) وقد توهم في المقصود بالخطاب فقال: إنه ابن طغج[1]، ومن أحد أبيات قصيدته الدالية نستدل على أن الخطاب لم يكن لابن طغج إذ يقول:

فمن كالأمير ابن بنت الأمير أو من كآبائه والجدودِ

وابن طغج لم يكن ابن بنت أمير. فمن هو هذا الوالي الذي تولى إطلاق سراحه؟ كما أن كنية ابن طغج هي أبا بكر، ومن خلال إحدى قصائده التي أرسلها من السجن والتي ذكرها ناصيف اليازجي في العرف الطيب في الزيادات وكذلك الدكتور عزام في الديوان نلاحظ في أحد أبياتها أنها موجهة إلى أمير يكنى بأبي العباس.

يقول المتنبي في هذه القصيدة:

شغلي عن الربع أن أسائله وأنْ أُطيلَ البكاءَ في خلقِهْ
بالسجنِ والقيدِ والحديدِ وما يُنقصُ عند القيامِ من حلقِهْ
في كلِّ لصٍّ إذا خلوتُ بهِ حَدَّثَ عن جحدِهِ وعن سَرَقِهْ
لو خُلقَتْ رِجلهُ كهامتهِ إذا لبارى البزاة في طلَقِه

[1] في ذكرى ابي الطيب بعد الف عام- عبد الوهاب عزام- مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة- مصر-٢٠١٤-ص٦٩ ومابعدها

بَـــــدَّلتُ جيرانَـــــهُ وبليتَـــــهُ في خـطِّ كـفِّ الأميـر مـن ورقِـهْ
يـا أيُّهـا السـيِّدُ الهمـامُ أبـا الـ عبّـاسِ والمسـتعاذ مـن حنقِـهْ

ومنها:

الله يـــا ذا الأميـــر فـــي رجـــلٍ لـم تبـق مـن جسـمهِ سـوى رمقِـهْ
كـم ضـوء صـبح رجـاك في غـده وجـنحِ ليـلٍ دعـاك فـي غسـقِهْ
نـــادالك مـــن لجـــةٍ لتنقـــذَهُ مـن بعـد مـا لا يشـك في غرقِـه

فمن هو هذا أبو العباس؟

قال ابن العديم" وكان الراضي قد خاف على بدر الخرشني من الحجرية أن يفتكوا به؛ فقلده حلب وأعمالها، وهي بيد طريف سنة أربع وعشرين... ووصل الخرشني ودافعه طريف.. فزحف بدر الخرشني والتقى طريف في حلب، فانهزم طريف بين يديه. وتسلم بدر حلب وأقام بها مدة يسيرة ثم كوتب من الحضرة بالانصراف، فرجع إلى الحضرة، وقلد طريف حلب مرة ثالثة،.. ثم ولي حلب أبو العباس أحمد بن سعيد بن العباس الكلابي... وكان بها نائبا عن أبي بكر الإخشيذ محمد بن طغج بن جف"[1]

واذن فإن أبا العباس هذا: هو أحمد بن سعيد بن العباس الكلابي. وهو الذي تولى إطلاق سراح المتنبي من السجن كما يتبين لنا ذلك من كنيته وتاريخ ولايته.

٥- يذكر الأستاذ شاكر في معرض تأويله لبيتين من الشعر قالهما المتنبي في صباه عندما قيل له وهو في الكتاب: ما أجمل هذه الوفرة! فقال:

لا تحسن الوفرة حتى تُرى منشورة الضَفْرين يومَ القتالْ
على فـــتىً معْتَقِلٍ صَعْدَةً يعلُّها من كـلَّ وافي السـبالْ

[1] ينظر زبدة الحلب-كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله ابن العديم الحلبي-ت- خليل منصور- دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان- ١٩٩٦ ص ٥٩ و٦٠

وأقول تأويل وليس تفسير لآنه ذهب بهما إلى مرام بعيدة وحملّهما فوق ما يحتملان، فزعم أنهما يضمران وراءهما معنى آخر غير هذه المعاني، وهو أنّه مُنشّأ على طلبِ الثأر من عدو، ثم يقول: أنه قصد (بوافي السبال) مشيخة العلويين الذين أنزلوا الهوان به وبجدته."[1]

من الواضح أن مبعث هذا التأويل هو التأثر بما جاء في أسباب عدم تمكن المتنبي من دخول الكوفة في سنة ٣٣٥هـ. ونحن نعتقد أن سبب إحجام المتنبي عن دخول الكوفة، هو ما سبق خروجه منها عام ٢٢٠هـ أو ٣٢١هـ، و أرى أن خروج المتنبي كان لسببين: الأول: أنه خرج مضطرا تحت ضغط التهديد. لأسباب منها مدحه لمحمد بن عبيد الله العلوي على إثر ما جرى بينه وبين بني الفدان نسبة إلى أبي منصور محمد بن عمر بن يحيى ذي العبرة الملقب بالفدان[2] وهي الواقعة التي جرح بها محمد بن عبيد الله في وجهه. والثاني: هو طموحه الكبير في تغيير حياته لما كان يراه في نفسه من تميز ، ولم يجد في الكوفة ما يُمَكِّنه من هذا التغيير ، وتحقيق مطامحه العالية، فلم يجد وسيلة غير أن يركب حصانه؛ ليجوب في بقاع الأرض بحثا عن بيئة صالحة لتحقيق مراده، فظن أن الشام أنسب مكان له. ولعل سببا آخر استجد بعد رحلته إلى الشام هو هجاؤه لبني أبي الطيب العباسي وهو من أولاد عبيد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب (ع). قال ابن جني: "وقال يهجو الطبرانيينَ"[3] والطبرانيين الذي قصدهم هم أولاد أبي الطيب المنتهي نسبه إلى العباس بن علي بن أبي طالب، يقول فيها:

أماتكم من قبل موتكم الجهلُ ... وجركم من خفة بكم النملُ
وُلَيْدَ أُبَيِّ الطيبِ الكلبِ مالكم ... فطنتم إلى الدعوى ومالكم عقلُ
ولو ضربتكم منجنيقي وأصلكم ... قويٌّ لهدتكم فكيف ولا أصلُ
ولو كنتمُ ممن يُدبِرُ أمْرَهُ ... لما كنتمُ نسلَ الذي ما له نسلُ

[1] ينظر كتاب المتنبي-ص ١٨٤
[2] ينظر عمدة الطالب- ص٢٧٤
[3] الفسر- ج٣- ص٢٠٨

واتهامهم بأنهم أدعياء وهؤلاء لهم بطن في الكوفة، وإذن فإن عداء (العلويين) والذي ينحصر بهؤلاء جاء متأخرا ولا علاقة له بمولده أو أسرته، وقد أشرنا فيما سبق إلى أنه رضع بلبان علوية من آل عبيد الله، وواضح من القصيدة التي امتدح بها المتنبي "[1]الأمير ابا الحسين محمد(الأشتر أو المشطب) بن عبيد الله الثالث بن علي بن عبد الله الثاني بن علي الصالح بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين(ع)" أن لهم أفضال كبيرة عليه، لعل من بينها هو تكفلهم بإدخاله مدارس (أشراف العلويين)، ويكفي هذا البيت للدلالة على مدى رعايتهم له:

لهُ أيادٍ عليَّ سابقةٍ أُعدُّ منها ولا أعددُها

وأنظر إلى كلمة (أُعدُّ منها) وما تحمله من معان ودلالات، فما تلك الأيادي التي جعلت منه بكل كيانه جزءا منها وليس تعدادا لها!؟ وانظر إلى مقدار الامتنان في القصيدة لأحد رموز العلويين الذين يزعم الأستاذ شاكر إنه قد نشأ على العداء لهم والثأر منهم:

فكم وكم نعمةٍ مجللةٍ ربيتها كان منك مولدُها
وكم و كم حاجة سمحت بها أقربُ مني اليَّ موعدُها
ومكرماتٍ مشت على قدم الـ ـبرّ إلى منزلي ترددُها
أقرَّ جلدي بها عليَّ فلا أقدرُ حتى المماتِ أجحدُها

غير أنه لفرط مودته لآل عبيد الله نصب نفسه في عداء أولاد عمومتهم من آل الفدان الزيديين، وجعل منها مطلبا لهم، وربما هجاهم ثم أسقطه من ديوانه فلم يصلنا. وكان بنو زيد متنفذين في الكوفة.

أما قول المتنبي (يعلها من كل وافي السبال) إنما قصد التضاد بين مفردتي فتى وبين وافي السبال (المكتمل اللحية)، ولم يكن إطلاق اللحية منحصرا في العلويين ليتم رميها هذا المرمى بل كان ذلك دأب كل من بلغ الرجولة. فالمعنى عام وليس خاصا كما أوّل ذلك

[1] ينظر المصدر السابق-ص ٣٢٣

الأستاذ شاكر، ولا أجد مبررا عقلائيا في فترة طفولة المتنبي يثير العداء بينه وبين العلويين، ويجعله (مُنَشّأً) على الحقد والثأر منهم كما زعم.

٦- يقول الأستاذ شاكر في تفسيره لقول المتنبي:

مُحبّـي قيـامي مـا لـذلكُمُ النصـلِ
بريئـاً مـن الجرحى، سـليما مـن القتـلِ
أرى مـن فِرَنْـدي قطعـةً فـي فرنـدِهِ
وجـودةُ ضـربِ الهـامِ في جـودةِ الصـقلِ
وخضـرةُ ثـوبِ العـيشِ في الخضـرةِ التي
أرتـكَ احمـرار المـوتِ فـي مـدرجِ النمـلِ
أمـط عنـكَ تشـبيهي بمـا وكأنـه
فمـا أحـدٌ فـوقي ولا أحـدٌ مثلـي
وذرنـي وإيـاه وطِرفـي وذابلـي
نكـنْ واحـداً يلقـى الـورى وانظـرنْ فعلـي

وقوله ((محبي قيامي)) يعني ثورته وظهوره وخروجه، وما نظن احدا كان يحب ذلك منه غير جدته، مع خوفها وخشيتها أن يصيبه مكروه ممن يتربصون به من العلويين فيما ذهبنا إليه. وفي الأبياتِ أثر بين لثورة الصبا وغروره، ولكنها تدل دلالة بينة على عزيمة هذا الفتى الأبي الذي يريد أن يدرك ثأرا، ويحدث أمراً."[١]

ذكر أكثر من واحد من شراح الديوان ومنهم ابن جني وأبو العلاء: إن المقصود بقوله: (محبي قيامي) "أي يامن يحب مقامي وترك الأسفار."[٢] فيما أورد محقق الديوان تعليقا على الأصل (للوحيد) قوله: ((ليس هذا يريد الرجل، ولو أراده لقال بدل (قيامي) مقامي. والوزن واحد، ولكن قيامي ها هنا من (قمت بالأمر) ولذلك سمي القائم

[١] كتاب المتنبي- ص١٩٨
[٢] الفسر-ج٢- ص ٥٦

المنتظر: أي من يحب قيامي ونهوضي بالأمر، ما لكم لا تخرجون حتى نجرح أعداءنا ونقتلهم؟)).

وأرى أن الأبيات مترابطة آخرها يفسر أولها. ولذا فإن البيت الثالث هو ما يفسر ما أراده المتنبي من مفردة (قيامي). وهل هي من الإقامة أم من القيام بالأمر؟ و في هذا البيت تعليل وبيان للغاية من السفر والترحال، ولو كان الخطاب للذين يطالبونه بالقيام بالأمر لما تكلف بيان ذلك، وتبريره بأن خضرة العيش في الخضرة التي أرتك احمرار الموت وهو لا يقصد السفر بحد ذاته بل ما وراءه مما ينوي القيام به. ويبدو أن المخاطب كان يعي مراد أبي الطيب من السفر، ولذا ساق له هذا التبرير، ثم طلب من مخاطبه أن يذره والسيف يلقى الورى، وينظر فعله. فلو كان المخاطب طالبه بالقيام والثورة؛ لما جاز له أن يصوّر ويجمل له العيش في ظل السيف، ويطلب منه أن يذره وسيفه. وقد ذكرنا في كلام سابق في معرض مناقشتنا لكتاب الأستاذ عبد الغني الملاح المبررات التي دعت أبا الطيب للسفر خارج الكوفة والقيام بدعوته. وربما عدنا إليها بتفصيل أكثر لاحقا.

٧- استعرض الاستاذ شاكر بشيء من التفصيل الروايات التي ذكرت ادعاء ابي الطيب النبوة، وفصل القول فيها اكمل تفصيل، وفند ما جاء فيها سواء من حيث المتن او من حيث الرواة، ونحن نذهب معه في كل ذلك، بيد انه ما فتئ يلح على ان عداء دائبا بينه وبين العلويين في موضوع النسب، وانهم (هضموه وظلموه)، ويقول" وبيّنٌ على مذهبنا في نسب المتنبي ان الرجل حبس من أجل ((دعوى العلوية)). التي ذكرها الرجل الطيب ابن ام شيبان، واقحم عليها ((النبوة))، ليجعل دعواه في علويته كذبا، فإن الذي يدعي النبوة لا يتورع عن ادعاء العلوية.

ثم إن هذا الرأي من ابن أم شيبان لو صح عنه، يزيدنا يقينا بأن الرجل كان يعرف من أمر نسب المتنبي شيئا، ويريد أن يخفيه، وأن لا يظهر عليه أحد من الناس."[1]

وأنا لا أريد أن اكرر ما قلته في أمر نقضي لما افترضه الأستاذ شاكر في موضوع نسب المتنبي، و لكن يجدر بي أن أثبت تعجبي من تصور الأستاذ شاكر لإصرار العلويين لكتمان نسب المتنبي وإنكاره، وكأن في انتسابه اليهم عارا يأنفون منه، وربما كان تبرير الملاح أكثر مقبولية من رأي شاكر فالملاح عزا ذلك بالخوف على حياة الأب أو الابن وقد أثبتنا كما سلف اعتراضنا على ذلك، وبينا وجهة نظرنا، وأما رواية ابن أم شيبان فقد أثبت هو بطلانها، ومن ثم لا يمكن الاستناد على ما ثبت بطلانه في تقوية حجة ما. فكيف إذا وصل الأمر أن (يزيدنا يقينا). وقد قلنا أننا مع الأستاذ شاكر في بطلان تهمة ادعاء أبي الطيب (النبوة)، وأما أمر العلوية المجردة فهو أيضا أمر واهن وسبب لا يدعو إلى أن يودع في السجن ويضيق عليه، و الأمر الأكثر غرابة أن يتولى سجنه ويشدد عليه هاشمي كما يشير إلى ذلك في هذين البيتين:

زعم المقيم بكوكتين بأنه ... من آل هاشمِ بن عبد مناف
فأجبته مذ صرت من أبنائهم ... صارت قيودهم من الصفصافِ

وكان في الشام العديد من العلويين، ومن أولئك على سبيل المثال أبو طاهر العلوي الذي مدحه المتنبي لاحقا، و أبناء أبي الطيب الذي قتله طغج بن جف، وقد وهم الأستاذ شاكر وقال إن الذي قتله (محمد بن طغج). فلو كان نسب العلوية مدعاة للسجن ما حضي هؤلاء بوجاهتهم. غير ان الامر اكبر من ذلك، وقد رأينا فيما سبق أن المتنبي إنما خرج إلى الشام وفي قلبه أمر، وقد أشار له بأبيات (محبي قيامي) وربما كانت إشارته البالغة الوضوح في قصيدته التي يقول فيها:

سيصحب السيف مني مثلَ مضربهِ
وينجلي خبري عن صمّةِ الصممِ

[1] كتاب المتنبي- ص٢١٣

لقـــد تصـــبرتُ حتـــى لاتَ مصـــطبرٍ
فـــالآن أقحَـــمُ حتـــى لاتَ مُقْـــتَحَمِ
لأثـــركنَّ وجـــوهَ الخيـــلِ ســـاهمةً
والحـــربُ أقـــومُ مـــن ســـاقٍ علـــى قـــدمِ

ومنها:

ردي حيـــاض الـــردى يـــا نفـــسِ واتركـــي
حيـــاضَ خـــوفِ الـــردى للشـــاء والـــنعمِ
إن لـــم أذر كِ علـــى الأرمـــاح ســـائلةً
فـــلا دعيـــتُ ابـــن أمِّ المجـــدِ والكـــرمِ
أيملـــك الملـــكَ والأســـياف ظامئـــةٌ
والطيـــرُ جائعـــةٌ لحـــمٌ علـــى وضـــمِ
مـــن لـــو رآنـــيَ مـــاءً مـــات مـــن ظمـــأٍ
ولـــو عرضـــتُ لـــهُ فـــي النـــوم لـــم يـــنمِ
ميعـــادُ كـــلِّ رقيـــقِ الشـــفرتينِ غـــداً
ومـــن عصـــى مـــن ملـــوك العـــرب والعجـــمِ
فـــإن أجـــابوا فمـــا قصـــدي بهـــا لهـــمُ
وإن تولـــوا فمـــا أرضـــى لهـــا بهـــمِ

والواضح من هذه الأبيات أن المطلب لم يكن نسبا، ولا ثأرا عند ثلة من العلويين (هضموه وظلموه) كما يقول الأستاذ شاكر، بل هو مطلب عظيم ومرمى بعيد، إنّه الملك والزعامة، وهذا لا يتم بدعوة انتساب، وإنما بدعوة هي أعظم من ذلك، وما دمنا استبعدنا دعوة النبوة التي لن تصمد أمام الحجة والمنطق ورسوخ المعتقد عند الناس، فلا بد من دعوة أخرى تكون بمحاذاة دعوة النبوة ولكنها امتداد لها، وهو يرى ويسمع ما تحققه أشباه تلك الدعوة من استجابة ونجاح و تحقيق للغاية المرجوة وهي (الإمرة أو الملك). وفي هذه الأبيات ملامح لها، و رغم إننا لا نثق برواية معاذ اللاذقي إلّا إننا لا نستبعد أن تكون قد تضمنت شيئا ولو يسيرا من الحقيقة وهو قوله:

- قلت: تفعلُ ماذا؟

- قال: أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جورا.

ولو رجعنا الى روايات الشيعة على الخصوص وربما شاركهم غيرهم من باقي الفرق والمذاهب سنجد أن ليس ثمة أحد منوط به، أن يملأ الدنيا عدلا كما ملئت ظلما وجورا، غير شخص واحد، هو (الإمام المهدي)، وعلى هذه الروايات قامت العديد من الدعوات التي شهدتها فترات متعددة من تاريخ الدولة الاسلامية بكل مراحلها، ولم يخل منها عصر المتنبي، بل تكاد أن تكون هي من أكثر الفترات التي نجحت فيها، و أصبحت أساسا لدولة هي الدولة المهدوية في المغرب.

وسأكتفي بما أشرت إليه من النقاط التي نختلف بها مع الأستاذ محمود شاكر مع الإشارة إلى أن للرجل قدم سبق في إثارة موضوع البحث في الغموض الذي أحاط حياة الشاعر أبي الطيب المتنبي و هو ما دفع الكثيرين بعد ذلك للسير في هذا الطريق الذي ترك فيه الأستاذ شاكر قناديل مضيئة يهتدي بها الآخرون في سيرهم.

المستشرقان (بلاشير و ماسينيون)

أولاً: أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي للدكتور ريجيس بلاشير

١- يقول بلاشير" وفي هذه المدرسة (يقصد مدرسة أشراف العلويين) رسخت، دون ريب، عقيدة أبي الطيب الشيعية، التي أخذها عن أبيه، وإننا نجهل إلى أي فرقة كان ينتمي أساتذته، ولعلهم كانوا من الزيديين الذين لقيت عقيدتهم في الكوفة سيرورة طويلة المدى. وقد برهن على ذلك التعاطف البارز الذي كان يظهره أبو الحسن محمد الزيدي، لأبي الطيب المتنبي وأسرته. إن الذي يهمنا فضلا عن ذلك، هو أن نشير إلى تلك التأثيرات الانشقاقية التي كانت عنصر انحلال في العقائد الدينية، وقد هيأت عند أبي الطيب، كما سنرى، أرضا مواتية لتفتح عقائد أخرى إلحادية صريحة.

تعلم أبو الطيب في المدرسة القراءة والكتابة، ومن المحتمل أنه قرأ القرآن كغيره من المسلمين كافة، وقد أثر الكتاب المنزل في تكوينه الفكري والخلقي."[١]

وتعليقا على كلام الدكتور بلاشير هذا نقول: فيما يخص (أبو الحسن محمد الزيدي) وأعتقد أنه يقصد أبا الحسين أو ابا الحسن محمد بن عبيد الله العلوي الذي مدحه المتنبي بقصيدته التي مطلعاها:

أهلا بدار سباك اغيدها أبعد ما بان عنك خردها

وقد أوردنا ترجمة له فيما سبق وهو لم يكن زيدياً لانسبا ولا مذهبا. أما قوله إنه من المحتمل قرأ القرآن فأمر غريب فهل يتوقع أنّ طالب علم وفي مدينة كالكوفة وفي مدرسة لأبناء العلويين أن لا يدرس القرآن، ثم كيف استنتج أن القرآن أثر في تكوينيه الفكري والخلقي وهو غير متيقن من قراءته له!؟ ويبدو أن مبعث هذا التشكيك

[١] ابو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الادبي- د. ريجيس بلاشير- ترجمة د. ابراهيم الكيلاني- دار الفكر- دمشق- ط٢-١٩٨٥- ص٤٢

القراءة غير المتفحصة لرواية علي بن حمزة التي يقول فيها" بلوت من المتنبي ثلاث خصال محمودة وتلك أنه ما كذب، ولا زنى، ولا لاط، وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة وتلك أنه ما صام، ولا صلى، ولا قرأ القرآن"[1] فإن هذه الرواية تحمل بطلانها الواضح بين طياتها وقد نتقبل منها الشطر الأول أما شطرها الثاني فهو غير قابل للتصديق، وإن صدقنا بأن المتنبي (ما صام ولا صلى) فمن غير الممكن القبول بمسالة أنه ما قرأ القرآن، إذ أن قراءة القرآن لا تنحصر بالطقس الديني وإنما تتعداه إلى الثقافة اللغوية، ومن خلال تفحص شعر المتنبي سنجد أن هناك الكثير من الشواهد التي تدل على قراءة القرآن وتدبر معانيه وقصصه. ناهيك عن أن المتنبي هو ابن مدرسةٍ أول دروسها هو القرآن. أما موضوع (العقائد الإلحادية) لدى المتنبي التي أشار إليها فسنذكرها في وقتها.

٢- ويقول" كان يحلو لحامي الأسرة أبي الحسن العلوي أن يروي فيما بعد النادرة الآتية"[2]

وهذا ما أشرنا له في السطور السابقة من أن الرجل واقع في الوهم فو يخلط بين القاضي أبي الحسن العلوي الزيدي الذي يروي عنه التنوخي وبين الأمير أبي الحسن محمد بن عبيد الله العلوي.

٣- ويقول" وإذا كان لمكث أبي الطيب في البادية من نتائج فهي على الصعيد الديني، فقد رأينا أن القرمطية، اجتذبت في بدء ظهورها أنصارا لها من أوساط البدو المتحمسين، ولعل تلك الدعوة تناولت القبائل كافة، ولم تكن قبيلة بني الصابي أو سواها التي استضافت أبا الطيب بمنجى من تلك العدوى، ومن الجائز أن يكون الشاعر الشاب صادف بعض المهتدين إلى العقيدة الجديدة، أو أن بعض الدعاة، حاول تلقينها ولدا مهيأ بحكم تشيعه، لتقبل تعاليم القرمطية، وفي الحق أن هذه الفرضية لا تقوم إلا على القرائن،

[1] الصبح المنبي-٩٤

[2] ابو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الادبي- ص٤٣

وإذا ما أعوزتنا الشواهد القاطعة، ففي ديوان أبي الطيب صرخات تمرد، ودعوة إلى العنف جديرة بأن تصدر عن غلام أصيب بتأثيرات قرمطية سابقة، وليس بمقدورنا مطالبته الجهر بعقيدته، لأن هذه كانت، ومن الواجب أن تكون، سرية، وكان القرامطة، كالفوضويين في عصرنا، منبوذين من قبل المجتمع،"[1]

لعل أصدق ما قاله بلاشير هنا هو أن ادعاء تأثر المتنبي بالقرمطية تعوزه القرائن، أما إحالته إلى ما في الديوان من صرخات تمرد ودعوة إلى العنف واعتبارها شاهدا على قرمطيته فهو ادعاء غير جدير بالاستناد عليه، لعدة أسباب منها:

أ- ليس من الصحيح ربط كل دعوة للتمرد والثورة في ذلك الزمن بالدعوة القرمطية.

ب- لو كان المتنبي مؤمنا بتلك الدعوة لالتحق بهم عندما أصبح فتى وهم ليسوا ببعيدين عنه.

ت- ما يحمله شعره من صرخات تمرد ودعوة للعنف، هو نتاج طموح شخصي ورغبات كامنة في نفسه لا تؤمن سوى بتحقيق الهدف الأسمى، وهو الوصول إلى كرسي الإمارة، و كما أسلفنا إن أبا الطيب استخدم كل ما بوسعه من وسائل لعلها تمكنه من ذلك، بيد أنه فشل في تحقيقه.

ث- إن المتنبي لم يكن يؤمن بأيّ دعوة دينية أو سياسية سوى دعوته الذاتية التي تحقق له هدفه.

ج- إن البناء على تصور خاطئ بشأن بيت المتنبي الذي يقول فيه

شيخٍ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً

و يستحلُّ دمَ الحجاجِ في الحرمِ

[1] ابو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الادبي - ص٣٧

هو الذي جعل بلاشير وغيره يتهمونه بالقرمطية، وظنهم أن مفردة شيخ يعني بها رجلا كبير في السن، والحقيقة إن معناها كما ذكره أكثر من واحد من شارحي الديوان هو السيف وليس غيره. ولو قرأنا القصيدة وتأملنا فيها جيدا لعرفنا أن المتنبي قد قدم مبررات ثورته ودعوته للعنف، وهي مبررات لا علاقة لها بالدعوة القرمطية، وإنما بطموح ورؤية ذاتية، ولنقرأ معاً:

لِمِ الليالي التي أَخْنَتْ على جِدَتي

بِرِقَّةِ الحالِ، واعْذُرْني ولا تَلُمِ

إذن هذا أول المبررات التي يسوقها من أجل ثورته وهو رقة الحال أي الفقر الذي يعاني منه.

أرى أناسا ومحصولي على غنمٍ وذكرَ جودٍ ومحصولي على الكلمِ
ورَبَّ مالٍ فقيراً من مروءته لم يُثرِ منه كما أثرى من العدمِ

يقول إنني أرى أناساً، ولكنهم غنم، وأسمع ذكر الجود، ولكن هو مجرد كلام ولا وجود لفعل، وأرى صاحب مال ولكن لا مروءة له، وهو فقير رغم غناه . وهذا ثاني المبررات التي دفعته للقول:

سيصحب النصل مني مثل مضربه ... مر ذكر القصيدة

شيخٍ يرى الصلوات الخمس نافلةً ....

وفي قصيدة أخرى يقول:

أين فضلي إذا قنعت من الدهر برزق معجل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرز ق قيامي وقل عنه قعودي
أبدا أقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في سعود

ولعلي مؤملٌ بعض ما أبلغ من اللطف من عزيز حميد
لسريّ لباسه خشن القطنِ ومرويّ مروَ لُبسُ القرودِ

وتبرير آخر هو غضبه من الملوك الذي وضعوا الحجاب بينهم وبينه:

أبا سعيد جنب العتابا فربّ راءٍ خطأً صوابا
فإنهم قد أكثروا الحُجّابا واستوقفوا لردنا البوابا
وإن حد الصارم القرضابا والذابلات السمر والعِرابا
ترفع فيما بيننا الحجابا

ومن هنا نرى أن المتنبي قدم لنا المبررات التي دعته للثورة، وليس من بينها مبررا عقائديا وإنما هي كلها مبررات مادية مبنية على طموح ورغبة شخصية. ولعلنا نعذر بلاشير فالرجل غير عربي وربما وجد بين يديه من رفع كلمة(شيخ)، فربط بين ما قيل من رأي القرامطة في الصلاة، وبين قول المتنبي (يرى الصلوات الخمس نافلة)، ففسر ذلك انحرافا في عقيدة المتنبي، والصحيح أنها مجرورة على التبعية، هكذا أوردها المعري في المعجز وابن جني في كتاب الفسر، وقد زعم الدكتور عزام أن ابن جني أوردها بالرفع، ولا أدري في أي نسخة من الفسر و جدها.

٤- يقول الدكتور بلاشير" وإذا ما علمنا بميل أبي الطيب الشديد للعلم، أمكن الافتراض أن الشاعر الشاب أفاد من مكثه في بغداد بلقاء كثيرين من أكابر علماء الأدب فيها ولعله حضر حلقات العالم اللغوي ابن دريد.

بيد أن الشيء المؤكد هو مزاولة أبي الطيب مهنة المديح في بغداد، فإننا نجده، دون ريب، بعد وصوله إليها بقليل، في خدمة أحد العلويين الكوفيين هو محمد بن عبيد

الله، وكان برجوازيا ثريا جدا، ولعله عرفه سابقا، ولدينا قصيدة أهداها للرجل المذكور، وتدل، بحكم طولها النسبي، على حذق أبي الطيب،"[1]

ورغم أنه ليس بين أيدينا دليل يؤكد أن المتنبي حضر حلقات درس في بغداد سوى ما حكي عن درس ابن العميد، إلا أن ذلك ليس بمستعبد. أما القصيدة التي امتدح بها محمد بن عبيد الله العلوي فهي من قصائده الكوفية وقد ذكرنا سبب مدحه إياه والواقعة التي جرح فيها ابن عبيد الله، وهي لا تبعد أن تكون بين عامي ٣١٨ كما ذكر الأستاذ محمود شاكر أو ٣٢٠ قبل أن يرحل المتنبي عن الكوفة، وتملك محمد بن عبيد الله لدار الوزير ابن الفرات لا يعني انتقاله إلى بغداد، فقد روى ابن عنبة أنه" كان له نيف وعشرون ولدا تقدموا بالكوفة وملكوا حتى قال الناس:(السماء لله والأرض لبني عبيد الله)"[2]

٥- ويقول" أن مرور أبي الطيب باللاذقية مثبت في عدد معين من القصائد، وسترى قريبا أهمية مخالطته للناس في تلك المدينة، ولم يكن أبو الطيب يمني نفسه حينئذ إلا بان يلوذ بأسرة التنوخي المنتمين مثله إلى قبيلة تنوخ اليمنية، ولم يتصل أبو الطيب بهؤلاء الحماة الجدد للأدب إلا في أواخر سنة ٣١٩هـ/٩٣١م.

إن أولى تلك القصائد مرثية قالها في محمد بن إسحاق التنوخي، وهو شخص مجهول يقول عنه أبو الطيب أن فيه (السماحة والفصاحة والتقى والباس أجمع والحجى والخير)."[3]

---

[1] ابو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الادبي ص ٥٦

[2] عمدة الطالب- ص٣٢٣

[3] ابو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الادبي -ص ٦٥

ولنا هنا نقطتان:

أ- إن أول قصيدة مدح بها أبو الطيب الأمير سيف الدولة الحمداني مؤرخة في عام ٣٢١(هـ) عندما أوقع بعمر بن حابس من بني أسد وبني ضبة عندما اجتاز براس عين في رحلته إلى الشام.[١]

ب- إن اللاذقية في عام ٣١٩هـ كانت تحت حصار طريف بن عبد الله السبكري حتى استسلم له بنو الفصيص وهم (التنوخيون) ثم أكرمهم عندما دخلوا معه حلب[٢]

وإذن فليس صحيحا ما ذكره بلاشير من أن المتنبي كان في اللاذقية عم ٢١٩هـ. بل هو في عام ٣٢١هـ، ويعضد هذا رواية أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي وإن كنا نرجح أن فيها دسا، وأرجح أن يكون قدومه للاذقية في أوائل سنة ٣٢١ أو منتصفها، ويحتمل أن موت محمد بن إسحاق التنوخي الذي رثاه أبو الطيب، كان أواخر العام أي بعد وصوله بفترة و ذياع صيته.

٦- يقول بلا شير:" ونظم أبو الطيب القصيدة الاخيرة الموجهة إلى الشخص ذاته[علي بن إبراهيم التنوخي] قبل مغادرته اللاذقية بأيام قليلة وكان الأمير التنوخي قد قمع بشدة ثورة بني القصيص[لعله يقصد بني الفصيص][٣].

وكلام بلاشير أما أن يكون قد التبس عليه الأمر، أو أن هناك واقعة حدثت بين أبناء بني إسحاق وبني إبراهيم وهو المرجح عندي، فإن علي بن إبراهيم هذا هو من بني الفصيص وهو أبو الحسين علي بن إبراهيم بن يوسف التنوخي والظاهر إن مدح المتنبي له كان متأخرا. أي بعد استلامه ولاية اللاذقية من أبناء عمه إسحاق بن يوسف التنوخي سواء الحسين ابن إسحاق أم غيره، وقد بقي علي بن إبراهيم واليا على اللاذقية إلى عام ٣٥٧هـ، واتفق مع نقفور ملك الروم عندما فتح هذا حلب وحمص

[١] ينظر الفسر- هامش ص٤١٩

[٢] ينظر زبدة الحلب-ص ٥٩

[٣] ابو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الادبي - ٨٦

ومعرة النعمان، فأبقاه حاكما عسكريا على اللاذقية.[1] والظاهر أن ثمة خلاف بين بني إبراهيم وبني إسحاق، ويتضح هذا من خلال طلب بني إبراهيم الدفاع عنهم بشأن ما قيل أنهم شامتون بموت ابن عمهم محمد بن إسحاق الذي رثاه أبو الطيب في قصيدة قلنا أنها في أغلب الظن في عام ٣٢١هـ قال فيها:

إني لأعلم واللبيب خبير
إنَّ الحياة وإنْ حرصت غرورُ
ورأيت كلا ما يعلل نفسه
بتعلة وإلى الفناء يصيرُ
أمجاور الديماس رهن قرارة
فيها الضياء بوجهه والنورُ
ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى
أن الكواكب في التراب تغورُ

فكتب على لسانهم قصيدة ينفي الشماتة عنهم:

ألآل إبراهيم بعد محمد إلا حـــنينٌ دائمٌ و زفـــيرُ

ما شكَّ خابر أمرهم من بعده أنّ العزاءَ عليهم محضورُ تدمي خدودهم الدموع وتنقضي ساعات ليلهمِ وهنّ دهورُ

وربما تصاعدت وتيرة الخلاف فيما بينهم في فترة ما، وهو ما دعا علي بن إبراهيم للثورة عليهم فاضطروا إلى التنازل له عن الولاية، وهذا ما يمكن أن نستخلصه من قصيدة مدح بها علي بن إبراهيم يقول فيها مطلعها:

أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا المنوطة بالتنادِ

[1] ينظر زبدة الحلب-ص٩٢

يقول فيها:

وقد مزقت ثوب الغي عنهم ... وقد ألبستهم ثوب الرشادِ
فما تركوا الإمارة لاختيار ... ولا انتحلوا ودادك من ودادِ
ولا استفلوا لزهد في التعالي ... ولا انقادوا سرورا بانقيادِ
ولكن هبَّ خوفك في حشاهم ... هبوب الريح في رجل الجراد
وماتوا قبل موتهم فلما ... منيت أعدتهم قبل المعادِ

ومنها يعتذر عن مدحه إياهم قديما وهو دليل آخر لما ذهبنا إليه:

أشرت أبا الحسين بمدح قوم ... نزلتُ بهم فسرتُ بغير زادِ
وظنوني مدحتهم قديما ... وأنت بما مدحتهم مرادي

ولا ندري سبب تحامل أبي الطيب على بني إسحاق الذين مدحهم سابقا، حتى وصل الأمر أنه أغرى علي بن إبراهيم بقتلهم:

فلا تغررك ألْسِنةٌ موالٍ ... تُقَلِبُهُنَّ أفئدة الودادِ
وكن كالموتِ لا يرثي لباكٍ ... بكى منه ويُروى وهو صادِ
فإنَّ الجرحَ ينفرُ بعد حينٍ ... إذا كان البناء على الفسادِ
وإنَّ الماء يجري من جمادٍ ... وإنَّ النارَ تخرجُ من زنادِ
وكيف يبيت مضطجعا جبانٌ ... فرشتَ لجنبه شوك القتادِ

ويبدو أن الحسين ابن إسحاق كان قد حمل في نفسه من أبي الطيب على إثر ما انتحله أناس من هجاء على لسان المتنبي وقد يكون أغلظ عليه في القول وهو ما دعا أبو الطيب أن يخاطبه في قصيدته التي أولها:

أتنكر يا ابن اسحاق إخائي وتحسب ماءَ غيري من إنائي

وقد كان رد أبي الطيب قويا رغم أنه قدم له بأعذار واعتذارات وافية إلّا أنه ختم القصيدة بما يغيض ابن إسحاق وغيره بقوله:

وهـاجي نفسـه مـن لا يميـز كلامـي مـن كلامِهـمِ الهـراءِ
وإن مـن العجائـب أن ترانـي فتعـدل بي أقـل مـن الهبـاءِ
وتنكـرَ مـوتهم وأنـا سـهيلٌ طلعـتُ بمـوتِ أولادِ الزنـاءِ

وليس بين أيدنا من شعر أبي الطيب في مدح قوم لهم علاقة بعلي بن ابراهيم سوى أبناء عمومته، ولذلك رأيناه يقول (وأنت بما مدحتهم مرادي). وأيا كان مقصود المتنبي بأولئك القوم الذين نازعوا علي بن إبراهيم على الإمارة فهو بعد سجنه أي بعد عام ٣٢٦.

٧- يقول بلاشير" فبعد أن مني ابن رائق بهزيمة كاملة على تخوم مصر أخذ يتراجع طالبا الصلح من محمد الأخشيد على أن يحتفظ هذا بفلسطين لقاء دفع جزية، ويظل ابن رائق واليا على شمالي الشام ودمشق، فعين اثنين من مساعديه حاكمين على تلك البلاد وهما: محمد بن يزداد وبدر الخرشني الذي كان له دور في حياة المتنبي. وكان هذا الأمير واسمه بدر بن عمار بن اسماعيل من أصل عربي أو كان يدعيه ولم يعرفه أرباب الحوليات إلا باسم بدر الخرشني."[١]

وهو وهم وقع فيه بلاشير ، فبدر الخرشني كما أشار إلى ذلك الأستاذ محمود شاكر ليس بدر بن عمار بن اسماعيل الأسدي الطبرستاني الذي تولى حرب طبرية والذي التقاه المتنبي ومدحه بأكثر من قصيدة، لأن بدر الخرشني هو غلام رومي من (خرشنة).

[١] ابو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الادبي - ص١٣٧

وفي عهد الخليفة المتقي تولى رئاسة الحجاب. في ٣٢٩هـ [١] وجاء في تكملة تاريخ الطبري في أحداث سنة ٣٢٨" وكان بدر بن عمار الطبرستاني يتقلد حرب طبرية لابن رائق"[٢]. وفي أحداث سنة ٣٢٩ يقول "واستتر ابن شيرزاد ونهبت داره ودور قواده. وظهر سلامة الطولوني وبدر الخرشني، وهرب البريدي من بغداد"[٣] وكما نلاحظ أن مؤلف الكتاب قد ميز بين الاسمين فذكر مرة بدر بن عمار الطبرستاني ومرة بدر الخرشني، وهذا دليل واضح على أنهما شخصان وليس شخص واحد كما ذكر بلاشير.

ولنكتف بهذا القدر مما أشرنا له في كتاب الدكتور ريجيس بلاشير.

[١] ينظر ابو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الادبي – هامش ص١٣٧.

[٢] تاريخ الطبري- التكملة – محمد بن عبد الملك الهمذاني- ت- محمد ابو الفضل ابراهيم- دار سويدان- بيروت- لبنان- ص٣٢٢

[٣] المصدر السابق –ص ٣٢٨

ثانياً: المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي للدكتور لويس ما سينيون.

قبل البدء بإيراد ملاحظاتي على هذا البحث أود أن أنوه بأنّ الدكتور إبراهيم عوض قد استوفى في نقاشه للبحث كل ما يمكن أن يقال، وأثبت خطأ ما افترضه ما سينيون بأدلة وافية وكافية؛ ولذلك فلن أستغرق في ملاحظاتي طويلا؛ كي لا يكون كلامي مجرد إعادة تدوير لما ذكر ؛ ولذا سأمر سريعا ببعض النقاط لغرض التنويه، و إن كان جل ما يدور حوله هذا البحث هو ذات الافتراض الذي افترضه قبله بلاشير حول قرمطية المتنبي، وهو كلام في الحقيقة يثير الاستغراب من استاذين يفترض أنهما جادين في البحث ومنصفين في إطلاق الأحكام غير أن ما نلاحظه هو أنهما يطلقان الكلام على عواهنه في كثير من الأحيان، ويتخذان من بضعة مفردات أدلة دون التحقق من جذور تلك المفردات والتعابير. ومن هذه الملاحظات:

١- يقول ماسينيون: " حيث تتالت عمليات إعدام المتآمرين القرامطة ابتداء من اعدام مهدي سنة ٢٩٠هـ وكذلك اعدام الحلاج في سنة ٣٠٩هـ."[١]

ولا أدري ما الذي يربط الحلاج بالقرامطة لكي يكون مثالا على إعدام المتآمرين القرامطة، هل الربط هو عملية الإعدام!؟ أم أن ماسينيون يعد الحلاج قرمطيا!؟ أمر يدعوا إلى التعجب.

٢- ومن الدلائل التي يسوقها ماسينيون على قرمطية المتنبي يقول" فإن بعض أشعاره هنا وهناك تفضح القرمطي القديم. وإن العلو المفرط الذي كان ينساق إليه من تلقاء نفسه في تمجيد أي ممدوح له ليذكرنا بالتهكم اللاذع للرسالة الهجائية... وكذلك هذه السخرية بالإسلام: ((لبرئت حينئذ من الإسلام))، وحواء:

[١] المتنبي بازاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الأسلام- لويس ما سينيون- ت-د.ابراهيم عوض-مكتبة لسان العرب- مصر- ١٩٨٨ ص١٠

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو

عقـــمت بـــمولد نســـلها حواء

والمهدي، وموسى، وعيسى:

لـــو كان صـــادف رأس عازر سيفه

في يـــوم مـــعركة لأعـــيا عيسى

وهذا البيت يكشف عن قرمطيته، فإن السني بل حتى الشيعي العادي ليجهل عازر. والقرامطة وحدهم هم الذين اخذوه ليسندوا له دورا في عقائدهم."[1]

وهذا الكلام في الحقيقة ينم أما عن جهل أو مغالطة مقصودة، فمسألة المبالغة في الشعر العربي واردة بكثرة، وإن كان المتنبي مفرطا فيها، وهي ليس دليلا على القرمطية بأي حال ولا علاقة لها بذلك، كما أن استخدامه لما أشار إليه ليس فيه سخرية من الإسلام أو حواء كما ادعى، فإن استخدام أداة الشرط(لو) وهو حرف امتناع لامتناع يخرج كلام المتنبي عن كل ذلك، وجواب الشرط لا يتحقق إلا بتحقق الشرط على افتراض أن الأداة غير (لو)، ولكن يبدو أن ماسينيون لا يعرف هذا الأمر أو يتغافل عنه. أما معرفة عازر فمن المضحك حصره بالقرامطة وكأن القرامطة لديهم علم لا يعلمه الآخرون أو لديهم رسول غير رسول الإسلام. قال الطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن في تفسير الآية ٤٨ من سورة آل عمران :"و قيل أنه أحيا أربعة أنفس عازر وكان صديقا له وكان قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته انطلقي بنا إلى قبره ثم قال اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرهم بأني أحيي الموتى فأحي عازر فخرج من قبره وبقي وولد له" فهل كان الطبرسي قرمطيا!؟

[1] المتنبي بازاء القرن الاسماعيلي-ص ١٩

٣- ويقول في فقرة أخرى" بل إن المعجم الشعري للمتنبي يحتوي، رغم تراكيبه التقليدية الجميلة، على بعض العبارات الشائعة عند الإسماعيليين: اثنتان منها من أخوان الصفا(وهما: "قدس الله روحه"، و"الفلك الدوار") ولفظة "الثقلان" (القرآن والعترة وليس الجن والإنس)"[١]

ولا أدري هل إن الدكتور ماسينيون يعلم بأن أخوان الصفا جاءوا بعد المتنبي أم لا؟ ولا أدري كيف يحصر تعابير معينة بفئة، فهل كان أبو تمام إسماعيليا أو من أخوان الصفا حيث يقول:

يقضون بالأمر عنها وهي غافلة

ما دار في فلك منها وفي قـــطبِ

أما لفظ قدس الله روحه الذي أخذه من رسالة الحاتمي، فهو لفظ شائع ولا يختص بالإسماعيليين أو القرامطة ورغم ذلك فإن ما جاء في رسالة الحاتمي غير موثوق به، بل إن هناك رسالتين كما يشير إلى ذلك مترجم ومحقق البحث الأولى: هي النسخة الأولى قبل أن يجري عليها الحاتمي التعديلات والثانية بعد أن قام بتعديلها وإضافة عبارات أخرى. أما لفظة الثقلين: بمعنى العترة والكتاب فهو حديث مشهور وخاصة عند رواة الشيعة هذا أولا، وثانيا أن المتنبي استخدم هذا اللفظ بدلالتيه: دلالة أن الثقلين العترة والكتاب في قوله:

أنى يـكون أبـــا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد؟

والثانية بدلالته على الأنس والجن في قوله لكافور:

فمالك تختار القسي وإنما عن السعد يرمي دونك الثقلان؟

ولن أطيل الحديث في هذا فقد استوفى النقاش فيه الدكتور إبراهيم عوض كما أشرنا وانما أوردنا ما أوردناه للإشارة والتنبيه والتثنية على ما أثبته الدكتور عوض.

[١] المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي- ص٢٠

مع المتنبي للدكتورطه حسين

ولن أشغل حيزا كبيرا بالحديث عن كتاب الدكتور طه حسين هذا لعدة أسباب منها:

١- آن أراءه مبنية على ما افترضه بلاشير من قرمطية المتنبي، وقد اعتاد طه حسين على اجترار آراء المستشرقين وتدويرها بماكنة إنتاجه، واعتبارها هي المصدر الصادق عن أدبنا العربي. وقد ناقشنا بلاشير و ماسينيون حول موضوع القرمطية فإعادة الحديث فيه غير ذي نفع.

٢- إن الأستاذ محمود شاكر تحدث عن كتاب طه حسين بشكل مسهب، وأشار الى أغلب النقاط التي تستحق الإشارة إن لم يكن جميعها وناقشها بإفاضة.

وما أود أن أثبته هنا هو بعض الملاحظات السريعة مما أتوافق او أختلف به مع الدكتور طه حسين ومنها:

١- يقول في معرض حديثه عن القصيدة الميمية التي قال عنها ابن جني وغيره إنها في رجل أراد أن يستكشف مذهبه:" وعندي أن المتنبي لم يرد ان يمتحن أبا الفضل أو أن يستكشف مذهبه، وإنما أراد أن يمدحه لا أكثر ولا أقل، وأن يمدحه بما كان يحب هذا الرجل أن يمدح به، وسواء عليّ أكان المتنبي مؤمنا بهذه الآراء التي بثها في قصيدته أم لم يكن، فحسبي أنه أثبت هذه الآراء، وجهر بها، وتقرب بها إلى الرجل، والتمس بها العطاء.... وأكتفي برواية هذه الأبيات:

يا أيّها الملك المصفى جوهرا
من ذات ذي الملكوت أسمى من سما
نور تظاهر فيك لا هوتيه
فتكاد تعلم علم ما لم يعلما
ويهم فيك إذا نطقت فصاحة
من كل عضو منك أن يتكلما

كُبُرَ العيانُ عليَّ حتى أنّهُ
صار العيان من اليقين توهما"[1]

وأنا أرى رأي الدكتور طه حسين من أن القصيدة لا تعدو أن تكون قصيدة مديح أراد منها نيل العطاء، فكان توسله إلى ذلك أن وظف آراء الرجل في قصيدته؛ ليتقرب إليه. ومن خلال ذلك نستطيع أن ندون عدة ملاحظات هنا:

أ- إن المتنبي كان ذا ثقافة ووعي كبير واطلاع واسع وفهم للآراء الفلسفية والفكرية مكنه من أن يصوغ ذلك ويوظفه في قصيدته.

ب- أن المتنبي لم يكن يؤمن بغير ما يحقق له مطامحه واحتياجاته. ولذلك فهو لا يتوانى أن يصف ممدوحه بكل ما يمكن أن يؤثر في نفسه ويلهب عاطفته.

ت- إن هذا الأسلوب في الإفراط في المبالغة اتخذه المتنبي نهجا وسمة وسم بها قصائده بكل أطوار حياته، ولم يكن يجعل ممدوحه أوحد زمانه ولن يخلق الله مثله، حتى ينتقل إلى آخر ليصفه بأعظم من ذلك.

ث- ومن هنا نرى أن الذين رأوا أن هذه القصيدة وغيرها تدل على متبنيات المتنبي الفلسفية والعقائدية والفكرية هم على وهم كبير، لأنها في الحقيقة لا تعكس سوى ما أشرنا إليه سابقا.

٢- يقول طه حسين" وكان المتنبي حين أغار القرامطة على الكوفة في الرابعة عشرة من عمره، وكان المتنبي حين جلا القرامطة عن العراق في الخامسة عشرة من عمره.

ونلاحظ أنه في ذلك الوقت بعد جلاء القرامطة عن الكوفة لم يستقر في الكوفة، وإنما يحدثنا الرواة أنه ارتحل عنها وارتحل معه أبوه، إلى بغداد بعد جلاء القرامطة عن

[1] مع المتنبي – الدكتور طه حسين- مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة-مصر-٢٠١٣-ص٣٩

الكوفة، أ لأنّه كان يريد أن يذهب إلى بغداد ليتم الدرس، ليشق طريقه إلى المجد الأدبي، فأخرت غارة القرامطة رحلته شيئا ما، أم لأنه كان قد تورط وتورط معه أبوه، وتورط معهما كثير من الناس في فتنة القرامطة هذه، فلما انهزم القرامطة وجلوا عن العراق لم يستطع المتنبي وأمثاله أن يقيموا في الكوفة اشفاقا من السلطان ومن تتبعه للذين أعانوا القرامطة من قريب أو من بعيد."[1]

وهنا يريد الدكتور طه أن يقول أن المتنبي كان مؤيدا للقرامطة، مستندا على افتراضات لا أساس لها. نعم دخل القرامطة الكوفة في هاتين السنتين ولكن الكثير من الناس هربت إلى بغداد، وهذا هو سبب تواجد المتنبي في بغداد وليس غيره، ولا أدري مَنْ من الرواة الذين حدثوه أن المتنبي وأبوه ارتحلا إلى بغداد بعد جلاء القرامطة عن الكوفة؟ إن كل ما بين أيدينا عن رحلته إلى بغداد، هو ما روي عنه من زيارته لبغداد وهو صبي وكيف تعامل معه صاحب دكان الفاكهة. ولكن من دون أن يحدد زمنا لهذا بيد إن أقرب الافتراضات إلى الواقع هو أنه زارها على أثر دخول القرامطة هربا من بطشهم، وليس هربا من بطش السلطان كما أراد أن يصوره طه حسين، ولو كان المتنبي أو أبوه ممن يؤيد آراء القرامطة لالتحقوا بمن اجتمعوا بعين التمر القريبة من الكوفة على إثر غارة أبي طاهر وجيشه.[2]

٣- ذكر أن القصيدة التي مدح بها أبا الحسن محمد بن عبيد الله العلوي أنه نظمها في بغداد ووصفه بأنه رجل رسمي والواقع كما أشرنا إلى ذلك سابقا إن هذه القصيدة قد نظمها المتنبي على إثر حادثة ضرب غلام ابن الفدان الزيدي لمحمد بن عبيد الله العلوي في الكوفة وليس في بغداد، ولا يعرف عن محمد بن عبيد الله العلوي إنه رجل رسمي، والظاهر أن ثمة خلط بينه وبين محمد بن يحيى العلوي الزيدي.

---

[1] مع المتنبي-ص ٤٠

[2] ينظر الكامل في التاريخ-ج٦- ص٧٢٤

٤- زعم أن المتنبي مدح مساور بن محمد قبل أن يسجن، والحقيقة أن الواقعة التي مدح المتنبي بها مساور مؤرخة بقدوم كافور و مساور إلى الشام على إثر مقتل ابن رائق في عام ٣٣٠هـ، وسيطرتهم على دمشق وحلب وغيرها، أو في عام ٣٢٩هـ عندما عاد ابن رائق إلى العراق وترك ابن يزداذ نائبا عنه.

أما كتاب الدكتور عبد الوهاب عزام (في ذكرى المتنبي بعد ألف عام) فقد أشرنا في معرض بحثنا إلى بعض ما نختلف فيه معه سواء بما نوهنا بالإشارة إليه أو بما يدخل ضمنا في مناقشتنا للمصادر والكتب التي تحدثنا عنها. على أننا نتفق مع أغلب ما جاء فيه.

الفصل الثالث

سيرة أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي

توطئة

المبالغة المفرطة في مدائح المتنبي

لا شك أنّ المبالغة وإعطاء الاشياء أكبر من حجمها عامل ضروري في الشعر ، بل هو عامل جمالي ، ذلك أن الخيال هو الفضاء الرحب الذي يحلق فيه الشاعر ، ولذلك كانت البراعة في المجاز والتشبيه وغير ذلك من أساليب البلاغة ميدان سباق تُظهر قدرة الشاعر وفروسيته في الشعر. بيد أن من الشعراء من أعطى لخياله حرية التحليق في فضاءات لاتقف عند حد، ولا تردعها المحذورات، وكان شاعرنا أبو الطيب فارسها الأول الذي جنح به خياله وعاطفته إلى أبعد ما أمكن من المبالغة في الوصف ، وهو ما ساهم إلى جانب عوامل تاريخية وسلوكية أخرى بإحاطة شخصيته بهالة من الغموض فتحت أمام الباحثين في سيرته الحياتية على الأخص مجالات واسعة للتأويل حتى وصلت في بعضها إلى ما يحسب على المناطق المقدسة، ولأن شعر الشاعر يعكس في الغالب شبحا لشخصيته قد يكون واضح الملامح عند البعض و بالغ التمويه عند آخرين، وهو ما يتطلب دقة في النظر , وعمقا في التحليل وتجردا من اعتقادات وافتراضات مسبقة، وأحسب أن أبا الطيب هو من النوع الثاني بل هو مصداق لهذا النوع، ولذلك فإن من نافلة القول إننا عند دراستنا لحياة المتنبي لابد أن ننظر في سمات شعره, عسى أن تساعدنا في إيضاح جوانب الغموض في حياته وشخصيته، ومن هنا فإنني سأورد بعض الأبيات التي أرى إنّنا من خلالها يمكن أن نتعرف على سمة بارزة من سمات شعره قد يكون لها دور فاعل في تحديد جوانب شخصيته:

فمن قصيدة قالها في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن بن الرضي الأزدي يقول:

أمريـد مثـل محمـد في عصـرنا   لا تبلنـا بطـلاب مـا لا يُلحـقُ
لـم يخلـق الـرحمن مثـلَ محمـدٍ   أحــداً وظنّـي أنّــه لا يخلــقُ

ومن قصيدة يمدح علي بن أحمد الطائي :

فتى ألْفُ جزءٍ رأيُهُ في زمانِهِ أقلُّ جُزيءٍ بعضُهُ الرأيُ أجمع

ومن قصيدة يمدح بها أمير حمص:

من قال لستَ بخير الناس كلهم
فجهله بك عند الناس عاذرُهُ
أو شكَّ أنّـــك فرد في زمـــانهم
بلا نظيــر ففي روحي أخاطرُهُ

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي:

إلـى واحـــد الـــدنيا إلـى ابـــن محمـــد
شـــجاع الـــذي لله ثـــم لـــه الفضـــل
إلـــى ســـيد لـــو بشَّـــرَ اللهُ أمَّـــةً
بغيـــر نبـــي بشـــرتنا بـــه الرسْـــلُ
رأيـــتُ ابـــنَ أمِّ المـــوتِ لـــو أنَّ بأسَـــهُ
غـــدا بـــين أهـــل الأرض لانقطـــعَ النســـلُ

ومن قصيدة أخرى يمدحه أيضا:

أنّى يكونُ أبا البريةِ آدمٌ وأبوك والثقلان أنت محمدُ

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي:

لـــو كـــان ذو القنـــينِ أعمـــلَ رأيـــهُ لمّـــا أتـــى الظلمـــاتِ صـــرنَ شمـــوســـا
أو كـان صـادف رأس عـازر سـيفه فـي يـــوم معركـــة لأعيـــا عيســـى
أو كـان لُـجُّ البحـــرِ مثـــلَ يمينـــهِ مـــا انشـــقَ حتى جـــاز فيـــه موســـى

وقال يمدح عبد الله بن يحيى البحتري:

متى ما يُشِرْ نحو السمـــاء بوجهِهِ

تخرُّ له الشعرى و ينخسفُ البدرُ

ترى القمر الأرضيَّ والمَـلِـكَ الذي

لهُ المُلكُ بعد الله و المجــدُ والذكرُ

بمن أضربُ الأمثالَ أم من أقيسُهُ

إليكَ وأهلُ الدهر دونــكَ والدهرُ

وقال يمدح مساور بن محمد:

يا ابن الذي ما ضمَّ بُردٌ كابنهِ

شرفاً ولا كالجدِّ ضمَّ ضريحُ

وقال يمدح المغيث بن علي العجلي:

وأعطيتَ الذي لم يُعطَ خلقٌ عليك صلاةُ ربّك والسلامُ

وقال يمدح علي بن منصور الحاجب:

أمهجنَ الكرمـاء والمزري بهم و تروكَ كلّ كريم قوم عاتبا

شادوا مناقبهم وشدت مناقباً وُجدت مناقبهم بهنَّ مثالبا

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب:

وحلَلْـتَ مـن شـرف الفعـال مواضـعا
لـم يحلُـلِ الـثقلانِ منهـا موضـعا
نفـذ القضـاء بمـا أردت كأنَّـه
لـكَ كلمـا أزمعـت أمـرا أزمعـا
وأطاعـك الـدهرُ العصـيُّ كأنُّـه
عبـدٌ إذا ناديـت لبّـى مسـرعا

وقال يمدح بدر بن عمار:

أعـزُّ مغالـبٍ كفّـاً وسـيفا ومقـدرة ومحميـة وآلا
وأشـرف فـاخر نفسـا وقومـا وأكـرم منـتمٍ عمّـاً وخـالا
يكـون أخـفُ إثنـاء عليـه علـى الـدنيا وأهليهـا محـالا

ومنها:

جـواب مسـائلي ألَـهُ نظيـرٌ ولا لـك فـي سـؤالك لا ألا لا
وأقسـمُ لـو صلحتَ يمـينَ شـيء لمـا صـلح العبـاد لـه شـمالا
وأعجـب منـك كيـف قـدرت تنشـا وقـد أُعْطيـتَ في المهـد الكمـالا

وفيه أيضا:

يـا بـدر إنَّـك والحـديث شـجون مـن لـم يكـن لمثالـه تكـوينُ
لعظمـت حتى لـو تكـون أمانـة مـا كـان مؤتمنـا بهـا جبـرينُ
بعـض البريـةِ فـوق بعـض خاليـا فـإذا حضـرت فكـل فـوق دونُ

وفي مدح بدر أيضا:

لو كان علمك بالإله مقسما في الناس ما بعث الإله رسولا
لـو كان لفظك فيهم ما أنزل القرآن و التـوراة و الإنجيلا

وقال يمدح أبا سهل سعيد الأنطاكي:

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها

وشرف الناس إذ سواك إنسانا

ومن مدائحه لسيف الدولة الحمداني:

لقد سلَّ سيفَ الدولةِ المجدُ مَعْلَما

فلا المجدُ مُخفيه ولا الضربُ ثالمُهْ

على عاتقِ المَلكِ الأغرِ نجادُهُ

وفي يدِ جبار السماواتِ قائمُهْ

تحاربهُ الأعداءُ وهي عبادهُ

ويدخرون المال وهو غنائمُهْ

ويستكبرون الدهرَ والدهرُ دونهُ

ويستعظمون الموت والموتُ خادمُهْ

وفيه:

و لو لا قدرةُ الخلاقِ قلنا: أعمداً كان خَلقُك أم وفاقا

وفيه أيضا:

تعرض سيف الدولة الدهر كله

يطبق في أوصاله ويصمم

فجاز لَهُ حتى على الشمسِ حكمُهُ

وبانَ لهُ حتى على البدر ميسمُ

أجار على الأيام حتى ظننتُهُ

تطالبهُ بالردّ عادٌ وجرهمُ

فلا موت الّا من سنانكَ يُتقى

ولا رزقَ الا من يمينكَ يُقسمُ

وفي سيف الدولة أيضا:

فلولاك لم تجر الدماءُ ولا اللُّها

و لـــم يـــكُ للدنيا ولا أهلها معنى

وفيه أيضا:

و تــملكُ أنفسَ الثقلينِ طرّاً فكيفَ تحوزُ أنفسَها كلابُ ؟!

وقال في كافور:

قواصـــد كـــافور تـــوارك غيـــره ومـن قصـد البحـر اسـتقل السـواقيا
فجـاءتْ بنـا إنسـانَ عـينِ زمانـهِ وخلَّـــت بياضـــا خلفهـــا ومآقيـــا
فتى مـا سـرينا في ظهـور جـدودنا إلـــى عصـــره إلّا نرجـــي التلاقيـــا

ومنها أيضا:

ومـن قـول سـامٍ لـو رآك لنسـله: فـدى ابـن أخي نسـلي ونفسـي ومماليـا

وفيه أيضا يهنئه:

إنـما التهنئات للأكفاء ولمن يدَّني من البُعداءِ

وأنا منكَ لا يُهنِئُ عضوٌ بالمسرات سائر الأعضاءِ

ثم هجاه بقوله:

أمَيْناً وإخلافاً وغدراً وخسةً وجُبناً؟ لُحْتَ لي أم مخازيا

وقال في عضد الدولة البويهي:

و قد رأيتُ الملوكَ قاطبةً و سرتُ حتى رأيتُ مولاها

و مَن منايـاهــمُ براحــتهِ يأمــرها فيــهم ويــنهاها

النــاس كالعــابدين آلهةً و عبدُهُ كالمــوحدِ اللاهـا

وإني وإن أكثرتُ في الأمثلة فإنما أردت من ذلك بيان تقلب أبي الطيب ليس في إضفاء صفات مبالغ فيها، بل إنها تنطوي على مبالغة غاية في الإفراط، فمرة كان القضاء بيد ابن الأصبع وأخرى أن الموت خادمٌ لدى سيف الدولة وثالثة إنَّ منايا الملوك بيد عضد الدولة البويهي، ثم يقول لك: أن الله لم يخلق مثل محمد الأزدي ولن يخلق، ثم يقول لمساور إنك لم يضم برد مثلك ولا ضم ضريح مثل أبيك، ثم يقول مرة أخرى لبدر بن عمار ليس لك نظير، وإنك فوق البرية، ثم يقول لسعيد الأنطاكي إن الله شرف الناس إذ سواك إنساناً، وغير ذلك مما تجده فيما أوردناه من أمثلة وهي قليل من كثير، وما يجده القارئ في ديوانه ربما فيها أكثر من ذلك ولم نوردها خشية الإطالة، وإنما أردنا من كلّ هذا شاهدا على ما نعتقده من رأي. ولم يكن من مقصدنا هذا أن نشكل على أبي الطيب في نهجه في المديح، فللرجل مطالب وغايات أراد الوصول إليها فاتخذ لها كل مسلك يقدر عليه، وهذا هو ميدان الشعر في زمنه، ولكل عصر ثقافته ونهجه، وهو ما خلف لنا هذا الإرث الجمالي والبلاغي العجيب. بل إن مقصدي ومبتغاي من كل ذلك هو تفنيد ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن القصائد والأبيات التي تملأ ديوانه, والتي يفتخر بها ويتسامى على من سواه بها، وما اتصفت به شخصيته من تعالٍ وكِبْرٍ واعتداد بالنفس، والتي استنتج منها بعض الباحثين نسبه العلوي، أو بنوته للإمام المهدي، وليس ذلك سوى وهم وقعوا فيه، أو لبسٍ في تحليل شخصيته، وما احتواه ديوانه من شعر. وليس معنى هذا إنني أريد أن أقلل من شخصية المتنبي، أو أن أقول بوضاعة نسبه كما اتهمه البعض، أو بأنه ابن غير شرعي كما غمزه بها آخرون، حاشى

وألف حاشى، بل إننا نقول بفرادة شاعريته، ولا شك لدينا في نقاء مولده، وجلالة قدره. وقد نطق حقا حينما قال في رثائه لجدته:

و لو لم تكوني بنت أكرم والد

لكان أباك الضخم كونك لي أُمّا

وصدق أيضا كل الصدق في قوله:

وبنفسي فخرتُ لا بجدودي

نعم فاسم أبي الطيب وشخصيته وعبقريته هي من الضخامة بما يملأ العين والسمع، وما يجعلها أهلا للفخر والاعتزاز.

وما نراه أن الذي وهب ممدوحيه من الملوك والأمراء وذوي الجاه من الصفات التي أقل ما يقال عنها أنها مفرطة في المبالغة، لا يبعد أن يبالغ في وصف نفسه؛ بل إنّ ذلك أقرب للحقيقة، وهو ما أراد منه في بادئ أمره أن يكون وسيلة؛ لتحقيق ما تصبو إليه نفسه من إمرة، وزعامة, مندفعا بكل ما فيه من عنفوان الشباب والفتوة، وما انطوت عليه نفسه من شجاعة وإقدام، فكتم نسبه، واتخذ العلوية نسباً والمهدوية وسيلة، مقتديا بما يراه أمام عينيه ممن اتخذوا من تلك الدعوة مطية لغاياتهم، وممن امتلأت مسامعه بأخبارهم من العلويين أو ممن ادعى الانتساب إليهم، وهم ليسوا ببعيدين عنه؛ فهو ابن الكوفة مسرح الثورات العلوية و منطلقها، ولكنه لم يجد في الكوفة ما يعينه على ذلك، لسببين رئيسيين: أحدهما: أن الكوفيين يعرفونه ويعرفون نسبه وهي ملآى بالعلويين من ذوي الجاه الواسع، وثانيهما: أن أتباع القرمطي كانوا يهددون الكوفة كل يوم، بل دخلوها عدة مرات، وكانت جيوش العباسيين مرابطة في الكوفة في أغلب الأوقات، فاختار من الشام منطلقا لما أراد، وفي الشام لا أحد يعرف نسبه، فرأى أن من السهل إقناع الناس بادعائه، فأبان عن غاياته ومطامحه في قصائد صباه المليئة بالثورة: وكانت أولى ملامح هذه الثورة في قوله:

لا تحـــسن الوفـــرة حتى تُرى منشورة الضَفرين يوم القتالْ

عـــلى فتى معتَقَـــلٍ صَـــعْدَةً يعـــلُّها من كـــلَّ وافي السـبالْ

ثم يندفع في مقطوعة أخرى للإفصاح عن ثورته:

وخضرةُ ثوبِ العيشِ في الخضرةِ التي
أرتك احمـــــرار الموت في مدرج النملِ
أمـــط عنك تـشـبيهي بـــما و كـأنه
فمـــا أحدٌ فـوقي و لا أحـــدٌ مثـلي
و ذرنـي وإيـــاه و طِـــرفي و ذابـــلـي
نكن واحـدا نلقَ الورى وانظرن فعلي

ثم راح يحفز نفسه على الثورة:

إلـــى ايّ حـــينٍ أنـــت فـــي زي محـــرمِ
وحتـــى متـــى فـــي شـــقوة وإلـــى كـــمِ؟
وإلا تمـــت تحـــت الســـيوفِ مكرمـــا
تمـــت وتقاســـي الـــذلَّ غيـــر مكـــرمِ
فثـــبْ واثقـــاً بـــالله وثبـــةَ ماجـــدٍ
يـرى المـوتَ في الهيجـا جنى النحـلِ في الفـمِ

ولعله في هذا القصيدة يفصح عن مراده:

ضاق صدري وطال في طلب الرز قِ قيـــامي وقلَّ عنه قعودي

فاطلب العزَّ في لظى واترك الذلَّ و لـــــو كان في جنان الخلودِ

لا بقومي شرفتُ بلْ شرفـــوا بي و بـــنـفسي فخرتُ لا بجدودِ

ثم يجنح للمبالغة للإيحاء بالنسب العظيم:

وبهم فخر كل من نطق الضا د وعوذُ الجاني وغوث الطريدِ

وربما كان هذا البيت هو أكثر ما أوحى إلى بعض الباحثين في نسبته العلوية، ولو تأملوا في البيت الذي قبله؛ لوجدوا أنّهُ أكثرُ بيت يدل على بعد انتسابه للعلوية. فما من علوي يزعم أن النبيَّ محمدا(ص) وعليا(ع) قد شرفوا به، وليس هو الذي شرف بهم. وقوله وبهم فخر كل من نطق الضاد لا غرابة فيه على جنوح المتنبي في المبالغة كما أشرنا إلى ذلك في مدائحه، فإن كان لا يتورع أن يقول لكل ممدوح يمدحه بأنه لم يخلق الله مثله ولن يخلق، أفلا يجوز لنفسه أن يقول إن قومه فخر من نطق الضاد؟ ومن منا لا يرى أن قبيلته فخر من نطق الضاد؟ ويبدو أن فطنته وذكاءه خاناه فلم تكن الشام في ذلك الوقت بيئة صالحة للثورة، فما كاد أن يجمع حوله عددا قليلا من الناس حتى وصل أمره إلى السلطان، فوئدت دعوته، وقضي عليها، وأودع السجن حتى كاد يهلك، فاتخذ من الشعر وهو صديقه الأوفى، وسيلة للتحرر من السجن، حتى إذا أطلق سراحه، راح يبحث عن وسيلة أخرى للإمرة والزعامة، وما لم يستطع تحقيقه بالسلاح والقوة، فلعله سيحققه بالشعر، فكان أن تحققت له زعامة الشعر وإمارته، ولم ينجح أيضا في تحقيق زعامة السلطة التي حلم بها.

ومن الأبيات التي استدل بها بعض الباحثين المعاصرين على علوية المتنبي قوله في مدحه لعلي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي:

سأطلـب حقي بالقـــنا ومشايخ
كأنهم تمن طول ما التثموا مردُ
ثقالٍ إذا لاقوا خفـافٍ إذا دُعُــوا
كثــيـرٍ إذا كروا قليلٍ إذا عدّوا

وطعنٍ كأنّ الطعنَ لا طعنَ عنده
وضـربٍ كـأنّ النار من حرهِ بردُ
إذا شئتُ حفّت بي على كلِّ سابح
رجـالٌ كـأنّ الموتَ في فمها شهدُ

والقارئ لهذه الأبيات سيظنُّ كما ظنّ البعض أن هؤلاء المشايخ الذين يتوعد بهم المتنبي هم حقيقيون، ولكن في الواقع أنهم لا وجود لهم، وأنَّ قوله: (سأطلب حقّي) فيه دلالة على انتمائه للعلوين الذين يرون أن الإمارة حقٌّ لهم، ولكن الأمر ليس كذلك بل إن ادعاءه ذلك الحق هو من باب اعتقاده بأفضليته الشخصية على الآخرين الذين يتقلدون الإمارة، وإن المتني قد عاودته أمانيه، وحماسته، فتخيل أنه يمتلك أنصارا ومريدين بهذه المواصفات، أو هكذا أراد أن يوحي إلى ممدوحه، وهو رجل ربما لم يكن من ذوي السلطان، ثم نراه يعود؛ ليناقض قوله السابق بهذه الأبيات:

أذمُّ إلى هـــذا الـــزمانِ أهيله
فاعلمهم فدمٌ وأحزمهم وغدُ
وأكرمهم كلبٌ وأبصرهم عمٍ
وأسهدهم فهدٌ وأشجعهم قردُ
ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يَر ى
عدوّا له ما من صداقته بدُّ

ثم ينتقل بعد أبيات شكوى ليصل إلى ممدوحه:

ويمنعني ممن سوى ابن محمد

أيادٍ لـه عندي يضيق بها عندُ

وهذه القصيدة كما أرى حافلة بالمتناقضات، فمرة تراه يقول إذا شئت حفت بي على كل سابح رجال، وأخرى يذم ويتشكى من أهل هذا الزمان ويصفهم بتلك الأوصاف والنعوت القاسية، ثم يخلص إلى مدح ابن محمد هذا فيصفه بأنه خير الخلق (وحقَّ

لخير الخلق من خيره ودُّ) ويتعذر بأن امتناعه عن طلب حقه بالمشايخ المرد هو علي بن محمد هذا، وهو عذر أكذب من وعيده. ومن ثم فاني لا أرى أيَّ دلالة في قصائد المتنبي على النسب العلوي، كما إننا لا يمكن أن نستدل من خلاله على عراقة نسبه؛ كونه ميالا إلى الإفراط في المبالغة فمن يُجَوّزُ لغيرهِ ذلك يُجوّزُهُ لنفسهِ ولا شك، وهذا لا يعني أننا نقول بعدم عراقة نسبه أو بوضاعته، ولكننا من خلال سيرة الرجل وشعره نستطيع أن نستدل على شجاعته وإقدامه، وعزة نفسه وحسن أخلاقه و عبقريته، وهذا مما لا شك فيه أيضا وهذا وحده دال على طيب محتده ورصانة تربيته.

مخطط حياة المتنبي

أبو الطيب في الكوفة بين عامي ٣٠٣هـ و٣٢٠هـ

ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبي سنة ٣٠٣ هـ، بحي يسمى حي كندة في مدينة الكوفة في العراق. والمرجح أنه جعفي وهي قبيلة من قبائل مذحج اليمنية. ويبدو أن أم المتنبي قد توفيت أثناء ولادته، فتكفلته جدته، وأرضعته امرأة من آل عبيد الله العلوي. وكانت جدته امرأة صالحة حازمة كما وصفها هو.

وقد درس علوم اللغة والدين في مدراس العلويين فتميز عن أقرانه . وربما كان يحظى برعاية آل عبيد الله آنذاك، وقد دفعه تميزه وحبه للشعر إلى ملازمة الوراقين، ثم رحل إلى البادية؛ ليتعلم اللغة والفروسية هناك. وربما زار بلاد الشام في ترحاله وهو صبي. وهو ما دعاه أن يرحل إليها بعد ذلك.

وربما لم تكن الحالة الاقتصادية لعائلته بأحسن حال، وهو ما ترك أثرا بالغا في نفسه بسب مزاملته لأبناء العوائل الميسورة في دراسته، وهو ما انعكس على تكوين شخصيته كونه يرى نفسه أكثر تفوقا وتميزا بين أقرانه، وعندما تفتحت فيه نبتة الشعر، عززت من صراعه النفسي ودفعته إلى رفع سقف طموحه نحو فضاءات بعيدة، فبدأت بذور الأنا تنبت وتتسامق وتتضخم رويدا رويدا.

فراحت نفسه تمتلئُ عزما وإصرارا واندفاعا، وراح يفصح عن بوادر ذلك الاندفاع وتلك الثورة في بواكير شعره، ولذلك لمّا "قيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه الوفرة؟! قال ارتجالا:

لا تحسن الوفرة حتى تُرى منشورة الظفرينِ يومَ القتالْ

على فتى مُعْتَــقِلٍ صَعْدَةً يعِلُّها مــن كلَّ وافي الســبالْ"[1]

[1] ينظر الفسر لابن جني- ج٣ ص٥ ومعجز أحمد-لأبي العلاء المعري ج١ ص٣٨

وفي عام ٣١٥و٣١٦ دخل أبو طاهر القرمطي وقواته الكوفة فهربت أغلب العوائل إلى بغداد، ويبدو أن عائلة المتنبي كانت من بين تلك العوائل، وهو ما يمكن أن نستخلصه مما رواه أبو البركات بن أبي الفرج المعروف بابن زيد التكريتي الشاعر "قال: بلغني أنه قيل للمتنبي قد شاع عنك من البخل في الآفاق ما قد صار سمرا بين الرفاق، وأنت تمدح في شعرك الكرم وأهله، وتذم البخل وأهله، ألست أنت القائل:

ومن يُنفقُ الساعاتِ في جمعِ مالهِ مخافةَ فَقرٍ فالذي فعل الفقرُ

ومعلوم أن البخل قبيح ومنك أقبح، لأنك تتعاطى كبر النفس، وعلو الهمة، وطلب الملك، والبخل ينافي سائر ذلك، فقال: إن لبخلي سبباً، وذلك أني أذكر في صباي وقد وردت من الكوفة إلى بغداد، فأخذت خمسة دراهم في جانب منديلي، وخرجت أمشي في أسواق بغداد، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة، فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة، فاستحسنتها ونويت أشتريها بالدراهم التي معي، فتقدمت إليه وقلت بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ، فقال: بغير اكتراث: اذهب، فليس هذا من أكلك، فتماسكت معه وقلت: أيها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن، فقال: ثمنها عشرة دراهم، فلشدة ما جبهني به ما استطعت أن أخاطبه في المساومة، فوقفت حائرا، ودفعت له خمسة دراهم، فلم يقبل، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان، ذاهبا إلى داره، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه، ودعا له، وقال له: يا مولاي هذا بطيخ باكور، باجازتك أحمله إلى منزلك، فقال الشيخ: ويحك بكم هذا؟ قال: بخمسة دراهم، قال: بل بدرهمين، فباعه الخمسة بدرهمين، وحملها إلى داره ودعا له، وعاد إلى دكانه مسرورا بما فعل، فقلت: يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك، استمت علي في هذا البطيخ، وفعلت فعلتك التي فعلت، وكنت قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم، فبعته بدرهمين محمولا. فقال: اسكت هذا يملك مئة ألف دينار. فعلمت أن الناس لا يكرمون أحدا إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مئة ألف دينار، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون: أن أبا الطيب قد ملك مئة ألف دينار."[١]

[١] الصبح المنبي- ص ٩٥ و٩٦

ويبدو أن هذه الحادثة قد تركت أثرا بالغا في نفس الشاعر لعل أحد تمظهراته هو البخل الذي عرف به.

كانت هذه الفترة من حياة المتنبي حافلة بالكثير من الأحداث التي ساهمت بصقل موهبته وشخصيته على حد سواء،

ويبدو أن فضل أل عبيد الله كان كبيرا على المتنبي حتى أنه يعترف بإنّه هو بذاته جزء من تلك الأفضال فنراه يقول في قصيدته التي مدح بها (محمد بن عبيد الله العلوي)[1]

لــهُ أيادٍ إليَّ سابقةٌ أُعَدُّ منها ولا أعددُها

ولعل أحد هذه الأفضال إلى جانب رضاعته من امرأة منهم هو إدخاله مدارس العلويين (إن صح وجودها) وتكفلهم بما يحتاجه، وربما كان لرضاعته من لبن تلك العلوية ونشأته بين أبنائهم باعثا مضافا لبواعث حرصه وسعيه أن يكون في مكانة مرموقة. ولهذا فإن نفسه قد ضاقت بما يحيط به من رقة الحال، فاتقدت في نفسه جمرة الثورة، فقرر الخروج من الكوفة طلبا للحظ كما يقول:

طلبت لها حظا ففاتت وفاتني

وأي حظ هذا الذي خرج يطلبه؟ إنه حظ الإمارة والصيت والغنى، ولكن الجدة (الأم) بما في قلبها من حنان الأمومة لم تكن لترغب في مفارقة ابنها، فتوسلت به للبقاء قربها، ولكن مطامحه كانت أقوى من رغبة الجدة، فقال:

محبــي قيــامي مــا لــذلكم النصــلِ
بريئــا مــن الجرحــى ســليما مــن القتــل
أرى مــن فرنــدي قطعــة مــن فرنــده
وجــودة ضــرب الهــام فــي جــودة الصــقلِ

[1] هو: الأمير محمد الأشتر بن عبيد الله الثالث بن علي بن عبيد الله الثاني بن علي الصالح بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع). كذا ذكره بن عنبة في انسابه.ص٣٢٣

وخضـــرة ثـــوب العـــيش فـــي الخضـــرة التـــي
أرتـــك احمـــرار المـــوت فـــي مـــدرج النمـــلِ
أمـــط عنـــك تشـــبيهي بمـــا وكأنـــه
فمـــا احـــدٌ فـــوقي ولا احـــد مثلـــي
وذرنـــي وايـــاه وطرفـــي وذابلـــي
نكـــن واحـــدا يلقـــى الـــورى وانظـــرن فعلـــي

ولعلنا نلمس أولى إشارات تضخم الأنا عنده في قوله (فما أحد فوقي ولا أحد مثلي).

ويبدو أن أبا الطيب قد أسقط الكثير من شعره الذي قاله في هذه الفترة من صباه، فلم يحفظ لنا ديوانه من شعره في هذه الفترة سوى قصيدتين ومجموعة مقاطع تتراوح بين الستة والسبعة وفقا لاختلاف الروايات.

أبو الطيب في الشام بين عامي ٣٢١هـ و ٣٢٥هـ

لقد كان خروج المتنبي من الكوفة إلى الشام في عام ٣٢١ كما دلت على ذلك رواية معاذ اللاذقي، وكذلك ما ذكره ابن جِنّي في تقديمه للقصيدة التي مدح بها سيف الدولة، ولم يُسْمِعها إياه في وقتها والتي يقول في مطلعها:

ذكـــر الصبـا و مرابـــع الأرآم جلبت حمامي قبل وقت حمامي

وكان محملا بالرغبة الجامحة إلى الزعامة، ولا سبيل إلى ذلك سوى إيجاد مناصرين وأعوانا يساندونه ويقوون من شوكته للقيام بالثورة من أجل الوصول إلى تلك الرغبة، فلم يكن أمامه للحصول على المؤيدين سوى النسب العلوي، وقد رأى أن أغلب الثورات إن لم يكن جميعها في تلك الفترة وما قبلها كانت تحت قيادة النسب العلوي سواء حقيقة أو ادعاء، و المتنبي كان ابن الكوفة مدينة العلويين وأنصارهم، ودرس في مكاتبها وتشبَّع بفكرها، ومن بين تلك الأفكار كانت الفكرة المهدوية، تلك الفكرة التي بقيت ملاصقة لأغلب ثورات العلويين مستندة إلى ما روي عن الرسول محمد (ص) والأئمة من أهل بيته بأن المهدي سيخرج في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، وهي أحاديث امتلأت بها عقولهم وكتبهم وسأورد هذين المثالين لها:" عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تذهب الدنيا حتى يلي أمتي رجل من أهل بيتي يقال له المهدي "[1] وروي عن السيد الحميري الشاعر قال: " قلت[للصادق جعفر بن محمد (ع)]: يا ابن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحة كونها فاخبرني بمن تقع؟ فقال عليه السلام: إن الغيبة ستقع في السادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض وصاحب الزمان، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الأرض قسطا وعدلا"[2] ونلاحظ أن عبارة (يملأ الأرض قسطا

[1] كتاب الغيبة- ١٨٢

[2] كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق- ت- علي اكبر- مؤسسة النشر الاسلامي- قم –ط٤- ١٤٢٢هـ- ص ٦٣

وعدلا...) قد وردت في الجواب المنسوب إلى المتنبي في الرواية التي ينقلها صاحب كتاب الصبح المنبي عن أبي عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي " قال: أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا"[1] ونحن إذ نستل هذه الجملة من رواية اللاذقي لا يعني أننا نثق بما جاء فيها، ولكن كما يقول الأصوليون: (ما لا يدرك كله لا يترك جله). ولقاء المتنبي بأبي معاذ لاشك فيه يؤيده ما جاء في شعره في قوله :

أبـــا عبـــد الإلـــه معـــاذ إنـــي ... خفـــي عنـــك فـــي الهيجـــا مقـــامي
ذكـــرت جســـيم مـــا طلبـــي وإنـــا ... نخـــاطر فيـــه بـــالمهج الجســـام
أمثلـــي تأخـــذ النكبـــات منـــه ... ويجـــزع مـــن ملاقـــاة الحمـــام
ولـــو بـــرز الزمـــان إلـــي شخصـــا ... لخضـــب شـــعر مفرقـــه حســـامي
ومـــا بلغـــت مشـــيئتها الليـــالي ... ولا ســـارت وفـــي يـــدها زمـــامي
إذا امـــتلأت عيـــون الخيـــل منـــي ... فويـــل فـــي التـــيقظ والمنـــامي

وانطباق قول المتنبي (أملأ الأرض عدلا كما ملئتْ جورا) مع ما ورد في تلك الروايات من سبب خروج الإمام المهدي، يدل بقوة على احتمالية أن المتنبي لم يدّع العلوية فقط، وإنما ادعى المهدوية، وهو ادعاء اتخذه أغلب قادة الثورات ممن كانوا في عصره أو سبقوه. أما ما ذكر في بعض المصادر من مسألة ادعائه النبوة، فهو أمر مستبعد غاية الاستبعاد لسببين: الأول: أن المتنبي رجل ذكي ويعلم جيدا أن اليقين المترسخ لدى الناس أن النبي محمدا (ص) هو خاتم الأنبياء ولا نبي من بعده، ومن ثمّ فإن ادعاءه النبوة سيواجه بعقبات كثيرة و لن يفضي إلى ما تطمح له نفسه. والثاني أن نسب العلوية و دعوة المهدوية قابلة للتصديق والنصرة، وقد سبقه إلى ذلك العديد ممن نجحوا في دعوتهم والتف حولهم الأنصار، بل هم أمام ناظريه: فدولة الإسماعيليين في المغرب ليست ببعيدة عنه، كما أن صاحب الزنج والقرمطي اللذين انتشرت دعوتها في البحرين والبصرة وغيرهما من المدن ووصلت إلى الكوفة كانت في عصره أيضا. وكل تلك

[1] الصبح المنبي-ص٥٢

الدعوات قامت على النسب العلوي أو الفكرة المهدوية. فما الذي يضطره إلى ادعاء النبوة التي لا يضمن النصرة فيها، بينما بوسعه أن يضمن الحصول على النصرة والأعوان بادعاء العلوية أو المهدوية!؟ وهو ما كاد أن ينجح فيه، لولا أن اختياره للمكان لم يكن في محله، فالشام لم تكن مصدر قوة للعلويين في ذلك الزمن، كما أنه لم يكن كما يبدو بذلك الحرص على اتباع السرية، وهو ما سهل عملية وئد دعوته قبل أن تقوى شوكتها. ناهيك عما في روايات ادعائه النبوة من اضطراب وتناقض، ويحتمل أن يكون ذلك من إيحاء صاحب الشرطة الذي تولى حبسه ويدعى (ابن علي الهاشمي) وربما كان هذا وغيره أحد الأسباب التي جعلته ينقم على العلويين، وينفر من مدحهم، كما يتضح ذلك من اعتذاره عن مدح أبي طاهر العلوي، حتى اضطُر إليه اضطرارا، تحت الحاح الأمير أبي محمد بن طغج، ورغم ذلك فقد حمَّل قصيدته من التعريض بالعلويين بقدر ما حمَّلها من امتداح (لطاهر) ومنها:

إليك فإنّي لستُ ممنْ إذا اتقى
عضاضَ الأفاعي نام فوق العقاربِ
أتاني وعيدُ الأدعياء وأنّهم
أعدوا لي السودان في كفر عاقبِ
ولو صدقوا في جَدِّهم لحذرتُهم
فهل فيَّ وحدي قولهم غير كاذبِ

وهو يرميهم بادعاء النسب العلوي ثم يخلص من ذلك إلى قوله في طاهر العلوي

إذا علويٌّ لم يكن مثلَ طاهرٍ
فمـا هو إلا حجةٌ للنواصبِ

وبقي عداء العلويين له وعداءه لهم مسايرا لكل خطواته حتى عندما سجن كان سجانه هاشميا، فاتبع معه أشد القسوة، فأمر النجار بأن يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف (والقرمة: القطعة الغليظة) فقال المتنبي:

زعم المقيم بكوكتين بانه

من آل هاشم [ا]بن عبد منافِ

فأجبته مذ صرت من أبنائهم

صارت قيودهم من الصفصافِ

ولكن يجب أن نثبت هنا أن هذا العداء لم يكن مع العلويين أو الهاشميين جميعهم، بل كان له من بينهم أصدقاء ومحبين مثل آل عبيد الله وغيرهم، وربما استطعنا أن نحصر أعداءه بالزيديين وبني العباس من أولاد أبي الطيب وبعض الهاشميين.

وقبل أن نتحدث عن سجنه لابد لنا أن نستعرض الفترة التي سبقت ذلك من قدومه إلى الشام إلى أن سجن أي من سنة ٣٢١هـ إلى سنة ٣٢٣ هـ . وهي الفترة التي رسخ فيها المتنبي علاقاته بالشاميين، فطاف في بلاد الشام ومدح العديد من وجهائها فكانت قصائده قبل السجن هي في مدح:

١- سعيد بن عبد الله الكلابي

٢- عبد الله بن خرسان

٣- شجاع بن محمد بن الرضا

٤- زريق بن محمد

٥- عبيد الله بن يحيى البحتري وأخاه

٦- رثاء محمد بن إسحاق

٧- مدح الحسين بن إسحاق

ويبدو أن خلافا دبَّ بينه وبين الحسين بن إسحاق على إثر ما نُحل من شعر في هجائه ونسب إلى المتنبي، والظاهر أنّه توعده وأسمعه كلاما أوغر قلب المتنبي عليه، ولكنه آثر أن لا يرد عليه بهجاء واضح، فراح يقدم له الاعتذار بتذلل، وينكر صلته بالهجاء:

أتنكر يا بن إسحاق إخائي ... وتحسب ماء غيري من إنائي
أأنطق فيك هجرا بعد علمي ... بأنك خير من تحت السماء
وأكره من ذباب السيف طعما ... وأمضى في الآمور من القضاء
وما أرمت على العشرين سني ... فكيف مللت من طول البقاء

ولعلي أقرب ما فعله المتنبي بقصيدته هذه بهذا التشبيه: لقد بسط المتنبي لابن إسحاق جناح الذل والتودد مثلما يفعل الطائر الجميل حتى إذا تمكن من قلبه ولاحت علامات الابتهاج على الممدوح نازعته الرغبة المتأصلة في نفسه في التحليق فحلق بجناحيه وحام على رأسه تاركا ما تحمله رجلاه من وحول تتساقط فوق رأسه دون أن يشعر بالغضب من ذلك. فما في هذه الأبيات من تقريع هو أشبه بذلك الوحل:

وهاجي نفْسَهُ مَنْ لم يُمَيِّزْ ... كلامي من كلامِهُمُ الهُراءِ
وإنَّ من العجائب أنْ تراني ... فَتَعْدِلُ بي أقَلَّ منَ الهَباءِ
وتُنْكِرُ موتَهُمْ وأنا سُهَيْلٌ ... طَلَعْتُ بموت أبناء الزناء

وهذه ربما كانت آخر قصيدة للمتنبي للحسين بن إسحاق، ويبدو أن الأمور قد أدارت ظهرها لهذا الحسين وأخوته بعد مدة، وإنَّ ابن عمهم علي ابن إبراهيم قد استقوى، وألتف حوله بعض المناصرين، فأزاحهم من كرسي الإمارة، وأصبح هو الأمير على اللاذقية. فعاد المتنبي إليها مرة أخرى، ومدح علي ابن إبراهيم التنوخي بعدة قصائد، غير أن حساد المتنبي والمتتبعين عثراته ظلوا يحوكون المؤامرات ضده، فحرضوا الأمير التنوخي عليه وذكَّروه بأنه سبق أن مدح الذين كانوا قبله، فكانت قصيدته التي أولها:

أحاد أم سداس في أحادي ... لُيَيْلتنا المنوطة بالتنادي

ومنها:

أشرت أبا الحسين بمدح قوم نـزلتُ بهم فســـرتُ بـــغير زاد

و ظنـــوني مـــدحتهم قديما وأنت بـــما مـدحتهـــم مرادي

وإني عنـــك بعـــد غدٍ لـــغادٍ و قلـــبي عن فنائك غيرُ غادي

مُحبك حيث ما اتجهت ركابي و ضيفك حيث كنت من البلادِ

وترك عليا التنوخي و اتجه إلى ريف حمص، وبدأت بوادر دعوته فالتفَّ حوله بعض المؤيدين، ولكن خبره نما إلى والي حمص فقبض عليه وتشدد في حبسه، ولكنه كان محظوظا إذ كان صاحب السجن صديقا له يسمى أبو دلف فكان يَبِرُّهُ رغم إنّ المتنبي هجاه في أبيات قال فيها:

أهْـــوِنْ بطـــولِ الثـــواء والتلـــف والقيـد والسـجن يـا أبـا دُلـفِ

غيـــر اختيـــارٍ قَبِلْـــتُ بِـــرِّكَ بـــي والجـوع يرضـي الأسـود بـالجيف

كـنْ أيّهـا السـجن كيـف شـئت فقـد وطَّنْـــتُ للمـــوت نفـــس معتــرف

لـــو كـان ســكناي فيــك منقصـــة لـم يكـن الـدرّ سـاكنَ الصـدف

ولكن يبدو أن هذه الأبيات كانت في أول دخوله السجن وهو في أوج قوته وكبريائه.

وعندما طالت أيام الحبس عليه أخذت جذوة ذلك الكبر تخبو رويدا رويدا، وعندما شارفت نفسه على الهلاك لم يجد أمامه سوى أن يتضرع إلى الوالي بنفس كسيرة، ويبدو أن أبا دلف كان وسيلة النقل لتلك التضرعات.

فكانت أول أبيات يتجلى فيها الضعف والانكسار هي:

بيدي أيها الأمير الأريبُ لا لشيء إلّا لأني غريبُ

أو لأمٍّ لها إذا ذكرتني دمُ قلب بدمع عين

إن أكنْ قبلُ أن رأيتك أخطأ تُ فإني على يديك أتوبُ

والظاهر أن هذه الأبيات التي أوردها صاحب كتاب المنبي قد أسقطها المتنبي من ديوانه الذي يرويه عنه ابن جني، وكذلك لم يذكرها المعرّي في معجز أحمد ولا عند الواحدي ولا عند العكبري وأضافها المتأخرون إلى الديوان، ومع ذلك فإن له قصيدة أخرى بعثها من السجن إلى أمير حلب وهو يومئذ (أبو العباس أحمد بن سعيد الكلابي) وكان ذلك في عام ٣٢٥هـ أو نهاية ٣٢٤ هـ والتي أولها:

أيا خَدَّدَ اللهُ وردَ الخدودِ وقدَّ قدودَ الحسان القدودِ

وفيها يقول:

أمالِـكَ رِقّـي ومـن شـأنُهُ هباتُ اللُجينِ وعِتقِ العبيدِ
دعوتُكَ عندَ انقطاعِ الرجا ءِ والموتُ منّي كحبْلِ الوريدِ
دعوتـكَ لمـا برانـي البِلـى وأوهـنَ رِجليَّ ثقـلُ الحديـدِ
تُعَجِّـلُ فيَّ وجـوبَ الحـدود وحـدِّيَ قبْـلَ وجـوبِ
وقيـلَ عـدَوْتُ على العـالمينَ بـينَ وِلادي وبـين القعـود
فمالـكَ تقبـلُ زورَ الكـلامِ وقدرُ الشهادة قدرُ الشهودِ
فـلا تسـمعنَّ مـن الكـاذبين ولا تعبـأنَّ بمَحْـكِ اليهـودِ
وكنْ فارقاً بين دعـوى أردتُ وبـين فعلـتُ بشـأوٍ بعيـدِ
وفي جود كفيكَ ما جدْتَ لي بنفسـي ولـو كنـتُ أشـقى

ومما ورد في القصيدة وفيه إشارة إلى ما جرى بين طريف السبكري ونائبه أبي العباس أحمد بن سعيد وبين بدر الخرشني فقد جاء في تاريخ حلب" وتسلم بدر حلب وأقام بها مدة يسيرة ثم كوتب من الحضرة بالانصراف فرجع إلى الحضرة، وقُلدَ طريف حلب مرة ثالثة، فقلد طريف السبكري من جهته حلب والعواصم فأقام بها إلى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة؛... ثم ولي حلب أبو العباس أحمد بن سعيد بن العباس الكلابي"[١]

[١] زبدة الحلب في تاريخ حلب- ص ٦٠

فولّى بأشياعِهِ الخرشنيُّ كذئبٍ أحسَّ بزأر الأسودِ

وهذا ما يدلل على أنّ المتنبي قد بقي في السجن إلى عام ٣٢٤ هـ ،وهو العام الذي تولى فيه أبو العباس أحمد بن سعيد بن العباس الكلابي ولاية حلب نائبا عن الإخشيد، ودليلنا في ذلك هذه القصيدة التي ذكرناها والقصيدة التي أوردها الدكتور عبد الوهاب عزام في ديوانه، وزعم أنَّها في مدح أحمد ابن كيغلغ، وابن كيغلغ صار واليا على مصر للمرة الثالثة في ربيع الآخر سنة ٣٢٢ وبقي إلى رمضان عام ٣٢٣هـ،[١] . والراجح أن المتنبي لم يكن في السجن في هذه الفترة وربما سجن أواخر عام ٣٢٣هـ والظاهر أن كنية (أبي العباس) هي التي أوحت للقائلين بأن هذه القصيدة بابن كيغلغ، والراجحُ عندي أن هذه القصيدة موجهة إلى أمير حلب في ٣٢٥ هـ، والمكنّى بأبي العباس أحمد بن سعيد الكلابي والذي تولّى إطلاق سراح المتنبي من السجن، ويقول فيها:

شغلـــي عن الربع أن أسائلَهُ و أنْ أطيـــلَ البكـــاءَ في خَلَقِه

بالسجن والقيد والحديد وما ينقـض عند القيام من حلقِه

في كـــل لـــصٍّ إذا خلـــوتُ بهِ حـــدَّثَ عن جحدهِ وعن سرقِه

إلى أن يقول:

يا أيّها السيد الهمام أبا العبا س والمستعاذُ من حنقِه
الله يا ذا الأمير في رجل لم تُبقِ من جسمه سوى رمقِه
كم ضوء صبح رجاك في غده وجنح ليل دعاك في غسقه
ناداك من لجة لتنقذه من بعد ما لا يشك في غرقِه[٢]

وجاءت عبارة الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه ذكرى أبي الطيب مرتبكة حيث يقول:" فأكبر الظن أن أبا الطيب كان في الحبس وابن كيغلغ والٍ على مصر أيّ بين

[١] ينظر كتاب المقفى الكبير- تقي الدين المقريزي- ت- محمد اليعلاوي- دار الغرب الاسلامي- ج١- ط١- ١٩٩١- ص٥٧١
[٢] ديوان المتنبي- تحقيق د. عبد الوهاب عزام- لجنة التأليف والترجمة والنشر- ص ٥٢٧

رمضان سنة ٣٢١ وشعبان سنة ٣٢٣ هـ ، ويبعد أن يكون حبس قبل ولاية ابن طغج فقد قدم الشام سنة ٣٢١ هـ ، و يؤخذ من ديوانه أنّه لبث زمنا في الشام قبل السجن: ويمكن الاستدلال على هذا بالقصيدة التي أولها :

خان الرقيب فخانته ضمائرُهُ وغيَّضَ الدمعُ فانهلتْ بوادرُهُ

ففي بعض نسخ الديوان أنّها أنشئت في مدح جعفر بن كيغلغ وفي بعضها أنّها في مدح أحد أمراء حمص وأنّه لم ينشدها أحدا، فإنْ قدرنا أن جعفر بن كيغلع تولّى حِمْصَ أيام ولاية قريبه أبي العباس على مصر والشام، فالشاعر لم يذكر السجن فيها ولم يستنجد الأمير ليطلقه كما في القصيدة التي مدح بها أبا العباس والقصيدة الدالية التي يأتي ذكرها، وفي هذا دليل على أن ولاية ابن كيغلغ عادت إلى مصر والشام سنة ٣٢١ هـ والشاعر طليق لم يحبس، فإن قلنا أن الشاعر حُبس بعد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وقبل نهاية سنة ثلاث وعشرين فإلى متى لبث في السجن؟ (ولا أدري ما الذي يريد قوله الدكتور عزام بهذه العبارة!؟ فهي كما ترى لا تستقر على شيء . ثم يعود بعد إيراد بعض الحوادث التاريخية ليقرر ما يأتي) :

فأكبر الظن أن أبا الطيب سُجن سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ولبث في السجن إلى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ويؤيد قول بعض الرواة أنه حُبس سنتين ما ذهبت إليه في هذه المسألة"[١] فانظر التناقض الواضح بين (أكبر الظن الاولى) و(أكبر الظن الأخيرة).

بينما يقول محمود شاكر في كتابه المتنبي" أنّه سُجن في أواخر ٣٢١ أو أوائل سن٣٢٢ إلى سنة ٣٢٣ ثم أطلق"[٢]. وهذا التاريخ لا ينسجم مع ما ذكرنا من أمر القصيدة التي بعث بها من السجن إلى أبي العباس أحمد بن سعيد الكلابي.

أما القصيدة التي ذكرها الدكتور عبد الوهاب عزام فقد اختُلف في مناسبة نظمها:

[١] في ذكرى ابي الطيب- ص ٦٩ و٧٠

[٢] المتنبي- محمود شاكر- ص ٢٢٤

قال ابن جنّي والمعري والواحدي والعكبري: وقال أيضا في صباه ولم ينشدها أحدا.

فيما زعم اليازجي والبرقوقي: أنّها في جعفر ابن كيغلغ: والظاهر أنهما استدلا على ذلك من كونها تتحدث عن أمير حمص. ولكن لا دليل فيها أو في ما بين أيدنا من التاريخ يثبت أن حمص كانت تحت إمرة جعفر هذا، في زمن المتنبي على الأقل.

حاشى الرقيب فخانته ضمائره

وغيض الدمع فانهلت بوادرُهُ

ومنها:

بعودة الدولة الغرّاء ثانية
سلوت عنكَ ونام الليلُ ساهرُهُ
من بعد ما كان ليلي لا صباح له
كأنَّ أول يوم الحشر آخرُهُ
غاب الأمير فغاب الخير عن بلد
كادت لفقد اسمه تبكي منابرُه

ومنها:

إذا خلتْ منكَ حمصٌ لا خلتْ أبداً
فلا سقاها من الوسميّ باكرُهُ
من قال: لستَ بخيرِ الناسِ كلهم
فجهلُهُ بكَ عندَ الناسِ عاذرُهُ
أو شكَّ أنك فردٌ في زمانهم
بلا نظيرٍ ففي روحي أخاطرُهُ
يا من ألوذُ بهِ فيما أؤملُهُ
ومن أعوذُ بهِ مما أحاذرُهُ

ومن توهمتُ أنَّ البحر راحتُهُ
جوداً وأنَّ عطاياهُ جواهرُهُ
لا يجبرُ الناسُ عظماً أنتَ كاسرُهُ
ولا يهيضونَ عظماً أنتَ جابرُهُ
ارحمْ شبابَ فتىً أودتْ بجدَّتِهِ
يدُ البلى وذوى في السجن ناضرُهُ

ولم يوردْ ابن جنّي والمعري البيتَ الأخير فيما علق الواحدي والعكبري عليه بقوله إنّه منحول.

ومن خلال قراءتنا لأشعار المتنبي نجد أن جميع القصائد والمقطوعات التي نظمها في فترة الصبا والمحملة بالحماسة والثورة كانت قبل سجنه وهي:

ثلاث منها في العراق:

١- لا تحسن الوفرة ....

٢- ومحبي قيامي...

٣- إلى أي حين أنت في زي محرم..

والشاميات:

١- كم قتيل كما قتلت شهيد

٢- قفا تريا ودقي فهاتا المخايل

٣- ضيف ألم برأسي

٤- أبا سعيد جنب العتابا

٥- أي محل أرتقي

٦- إذا لم تجد ما يبتر الفقر

٧- أبا عبد الإله معاذ أني

كما إن بإمكاننا أن نحدد قصائده الشامية التي سبقت دخوله السجن وهي بالإضافة إلى ما ذكرناه وربما أشار إلى ذلك طه حسين:

١- مدح سعيد بن عبد الله الكلابي

٢- مدح عبد الله بن خرسان

٣- مدح شجاع بن محمد بن الرضا

٤- مدح علي بن أحمد الخرساني

٥- مدح عبيد الله بن يحيى البحتري وأخاه أبا عباده

٦- رثى محمد بن إسحاق

٧- مدح الحسين بن إسحاق وعلي ابن إبراهيم التنوخي

وزعم الدكتور طه حسين إنّه مدح مساور بن محمد في هذه الفترة وهو خطأ واضح لأن مساور لم يدخل الشام إلّا في عام ٣٢٩هـ هو وكافور. وافتراض أنّه مدحه في هذه الفترة بقصيدته الحائية هو تكلف لا مبرر له. وقصيدة المتنبي في مدح مساور فيها ما يقطع كلَّ شك حيث يقول:

أمساورٌ أمْ قرنُ شمسٍ هذا
أو ليثُ غابٍ يقْدِمُ الأستاذا
شِمْ ما انتضيت فقدْ تركتَ ذبابَهُ
قطعاً وقدْ تركَ العبادَ جذاذا

هبك ابن يزدازٍ حطمت وصحبهُ
أترى الورى أضحوا بني يزداذا

وابن يزداذ هو الوالي الذي خلَّفَهُ بن رائق على الشام وعاد إلى بغداد في عام ٣٢٩هـ.

المتنبي بين عامي ٣٢٦هـ و٣٣٦هـ

في نهاية ٣٢٥ هـ أو بداية ٣٢٦هـ خرج المتنبي من السجن، وهو في أصعب حال، فلم يكن أمامَهُ غير أن يبحث عن أمير أو وجيه جديد يلتجئُ أليه. وقد زعم بعض الباحثين بأنه عاد إلى الكوفة مستندين إلى ما رواه الناشيء الصغير ،فقد جاء في كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي في ترجمة الناشيء الصغير" وحدّث الخالع قال حدثني أبو الحسين الناشيء قال: كنت بالكوفة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وأنا أملي شعري في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم، وهو بعد لم يُعرف ولم يلقَّبْ بالمتنبي، فأمليت القصيدة التي أولها:

بآل محمد عرف الصواب و في أبيـاتهم نزل الكتابُ

وقلت فيها:

كـأن سنـان ذابله ضمير فليس عن القلوب لـه ذهابُ

و صـارمُهُ كبيـعتهِ بِخُمٍّ مقاصدُها من الخلقِ الرقابُ

فلمحتُهُ يكتبُ هذين البيتين، ومنها أخذ ما أنشدتموني الآن من قوله:

كأن الهام في الهيجـا عيـونٌ و قد طُبعتْ سيوفُكَ من رقادِ

وقد صغتَ الأسنة من همومٍ فـما يخـطـرْنَ إلّا في فؤادِ"[1]

[1]-معجم الادباء ارشاد الاريب الى معرفة الأديب- ياقوت الحموي الرومي-ت- د. احسان عباس-دار الغرب الاسلامي-ط١-١٩٩٣- ج٤ص ١٧٨٨

وهذه الرواية لا تصلح أن تكون دليلا على عودة المتنبي إلى الكوفة من عدة جوانب نجملها بما يأتي:

١- إنّ غرض الناشيء هو إثبات أن المتنبي أخذ منه المعنى الوارد في البيتين،

٢- أن قوله أن أبا الطيب بعد لم يُعرف ولم يُلقَّبْ بالمتنبي يتناقض مع الروايات التي ذُكرت في أسباب إلحاقِ هذا اللقب به ومنها:

أ- أنّه من قوله: أنا في أمة تداركها الله... البيت

ب- ما روي عن المتنبي: أن اهل الكوفة يتداعون بالألقاب

ت- ما ذكر من أمر حبسه و اتهامه بادعاء النبوة

ث- ما ذكره المعري من أنّها من النبوة أي المكان المرتفع، ومعنى ذلك إنّه يترفع ويتعالى، وهي صفة لازمته من صغره.

أما قوله: إنّه لم يُعرف بعد، فكيف عرفه هو، وفطن إليه ولمحه يكتب هذين البيتين مع إنّه يقول: إنَّهُ كان يُملي شعره على الناس وكانوا يكتبون ما يمليه. فإذا كان الناس يكتبون ما يمليه والمتنبي من جملتهم لم اختصه بكتابة هذين البيتين فقط!؟ ولِمَ فَطِنَ له من بين الناس!؟ وواضح أن الرواية فيها مقاصد أخرى تضعفها إن لم تكن تبطلها .

و ما أراه أن المتنبي لم يرجع إلى الكوفة إلّا في عام ٣٣٥هـ عندما بعثت جدته بطلبه، وحُذّر من الدخول إليها من أطراف كانت محبة له كما أرى خوفا عليه ممن كانوا يتوعدونه. فانعطف إلى بغداد وفيها وصل إليه خبر موت جدته. فعاد إلى الشام سريعا. ودليلنا على ذلك أنّه لو كان عاد إلى الكوفة وبقي فيها ما يقرب من السنة أو يزيد كما يذكرون لوجدنا أثرا يدل على ذلك، كأن يكون زار أحدا أو مدح متنفذا طلبا للمال كما جرت عادته مع أهل الشام. وليس من المعقول أن يبقى كل هذه الفترة دون أن ينظم ولو قطعة صغيرة، وإن قيل أنّه أسقطها كما أسقط غيرها، فقد أثبت ما نظمه قبل

انتقاله إلى الشام وقبل سجنه مما هو مذكور في ديوانه، و هو في هذه الفترة قد صقلت موهبته، وكملت أدواته، وبزغ نجمه، فلا أرى سببا يدعوه لإسقاطها إن كان لها وجود.

وأظن أن أول ممدوحيه بعد خروجه من السجن كان أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي بقصيدته التي أولها:

لجنية أم غادة رفع السجْفُ لوحشية لا ما لوحشية شنْفُ

فمما نلاحظه في هذه القصيدة من تكلف في المدح و طلب المال:

قصدتك والراجون قصدي إليهم

كثير و لكن ليس كالذنب الآنفُ

و لا الفضة البيضاء والتبرُ واحدٌ

نفوعان للمكدي وبينهما صرفُ

ثم انتقل بعده إلى علي بن منصور الحاجب ثم عمر بن سليمان الشرابي ثم ابن أبي الأصبع الكاتب ثم عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي ثم الأوراجي، و القارئ لهذه القصائد سيلاحظ أن روح التمرد والثورة تكاد أن تكون قد اختفت أو خبا وهجها، وقد جاءت هذه القصائد عبارة عن مقدمات أو وسيلة لطلب العطاء.

حتى جاءت سنة ٣٢٨ فوصل ابن رائق إلى الشام وانتزعها من ابن طغج وولى أبا الحسين بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي حرب طبرية، فما كان من المتنبي إلّا أن يقصده معبرا عن فرحته بهذا القادم فقال:

أحلما نرى أم زمانا جديدا أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدا
تجلى لنا فاضأنا به كأنا نجوم لقينَ سعودا
رأينا ببدر وآبائهِ لبدرٍ ولوداً وبدراً ولودا
طلبنا رضاه بترك الذي رضينا له فتركنا السجودا

أميرٌ أميرٌ عليه الندى جوادٌ بخيلٌ بأن لا يجودا

وسواء كان ابتهاج أبي الطيب ببدر بن عمار بدافع قومي كما يحب أن يسوّق هذا البعضُ أم بدافع الارتياح إلى الحظ السعيد الذي جمعه بهذا الأمير بعد أن ظلَّ يتنقل بين أناس لم يكونوا بالمستوى الذي يملأ عينه، ويجبر ما انكسر في نفسه من كِبْر .

وسنرى أن شعره بعد لقائه ببدر بن عمار اختلف نوعا ما وبدأت تعود إليه تلك الروح الوثابة و ذلك الكِبْر والاعتداد بالنفس ولأنَّ حاسديه يذهبون معه أينما ذهب، فقد انتفضت نفسه وغلبه كبره، فوضع الرد عليهم بقصيدة من غرر قصائده التي مدح بها عمار بن ياسر، ولم ينسَ أنْ يُعلن عن قوة ارتباطه بهذا الأمير وتعزيز مكانته لديه :

أرى المتشاعرين غروا بذمي و من ذا يحمد الداء العضالا

و مــن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجــد مــرّاً بــه الماءَ الزلالا

و قــالوا هــل يُبَلِّغُكَ الثريا فـقلتُ نعم إذا شئتُ استِفالا

ليس بالإمكان تحديد الفترة التي بقيَ فيها مع بدر بن عمار والتي تبدأ من عام ٣٢٨هـ، ولا ندري هل انتهت بمقتل ابن رائق في الموصل واستيلاء الإخشيد على الشام عام ٣٣٠هـ، أم أنَّه بقي يتولى حرب طبرية، ولكننا نستطيع أن نشير إلى أن أبا الطيب التقى في عام ٣٣٠هـ مساور بن محمد عندما جاء إلى الشام على مقدمة جيش الإخشيد، وتحت قيادة كافور في عام ٣٢٩هـ أو عام ٣٣٠هـ بعد مقتل ابن رائق. وربما ذهب أبو الطيب إلى لقاء مساور، ثم عاد إلى بدر مرة أخرى فإن بين أيدينا أحداثاً وقصائد للفترة التي قضاها المتنبي مع بدر توحي بأنها حصيلة لفترة طويلة فقد بلغت ٢٨ نصا بين قصيدة ومقطوعة عدا ما سقط.

أما لقاؤه بمساور فكان حصيلته قصيدتين. ثم خرج إلى جبل جرس ونزل عند أبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني فمدحه بقصيدة:

لا افتــخار إلّا لمــن لا يضام مُـدرِكٍ أم محــاربٍ لا ينــامُ

ليس عزما ما مرَّض المرء فيه ليس هما ما عاق عنه الظلام

ومنها:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام
ضاق ذرعا بأن أضيق به ذرعا زماني واستكرمَتْني الكرام
واقفاً تحت أخمصَيْ قدْرِ نفسي واقفاً تحتَ أخمصيّ الأنامُ

ويبدو أن كيد ابن كَرَوَّسٍ قد عكر صفو العلاقة بين أبي الطيب والأمير بدر بن عمار، فخرج المتنبي من عنده غاضبا وهذا ما توحي به بعض أبيات القصيدة التي ذكرناها أعلاه، وتدل عليها بوضوح قصيدة أخرى يصف فيها مسيره في البوادي ويهجو ابن كَرَوَّسٍ هذا ومن حجم الاحباط الذي نستشفه من القصيدة نلمس مدى الارتياح الذي وجده أبو الطيب لدى بدر بن عمار:

عذيري من عذاري من أمور سكنَّ جوارحي بدل الخدور
ومبتسمات هيجاوات عصر عن الأسياف ليس عن الثغور
ركبت مشمراً قدمي إليها وكلُّ عذافر قلق الضفور
أواناً في بيوت البدو رحلي وآونة على قَتَدِ البعيرِ
أعَرِّضُ للرماح الصمّ نحري وأنصب حُرَّ وجهي للهجيرِ
ومنها
ونفس لا تجيب إلى خسيسٍ وعينٍ لا تدارُ إلى نظير
وكفٌّ لا تنازع من أتاني ينازعني على شرفي وخيري
وقلةِ ناصر جوزيت عني بشرٍّ منك يا شرَّ الدهورِ
عدوي كلُّ شيء فيك حتى لخلتُ الأكم موغلة الصدورِ
فلو أنّي حُسدتُ على نفيس لجدت به لذي الجد العثور
ولكنّي حسدتُ على حياتي وما خيرُ الحياة بلا سرورِ

فيا ابن كروَّسٍ يا نصف أعمى وإن تفخر فيا نصف البصيرِ
تعادينا لأنا غيرُ لُكْنٍ وتبغضنا لأنا غيرُ عورِ
فلو كنت امرأ يُهجى هجونا ولكن ضاق فتر عن مسير.

وأنا نقلت هنا معظم القصيدة لتتلمس معي مدى الإحساس بالمرارة و الضيق الذي عانى منه الشاعر في هذه الفترة، ثم انتقل إلى أنطاكية ومدح القاضي محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي، و مقدمة هذه القصيدة محملة بالأسى الذي رافق الشاعر في هذه الفترة، فاستمع إليه وهو يقول:

أفاضل الناس أغراض لدى الزمنِ
يخلو من الهمَّ أخلاهم من الفطنِ
وإنما نحن في جيلٍ سواسيةٍ
شرٍّ على الحرِّ من سُقمٍ على بدنِ
حولي بكل مكانٍ منهمُ خِلَقٌ
تُخطي إذا جئت في استفهامها بمنِ
لا أقتري بلداً الاّ على غررٍ
ولا أمرُّ بخلقٍ غيرِ مضطغنِ
ولا أعاشرُ من أملاكهم ملكاً
إلاّ أحقَّ بضربِ الرأسِ من وثنِ
أنّي لأعذرهم مما أعنفهم
حتى أعنفَ نفسي فيهمِ وأنِي
فقرُ الجهولِ بلا قلبٍ الى أدبٍ
فَقرُ الحمارِ بلا رأسٍ الى رَسَنِ
ومدقعين بسبروتٍ صحبتهمُ
عارين من حُلَلٍ كاسينَ من درنِ

خـــــــــرابُ باديـــــــــــة غرثـــــــــى بطـــــــــونُهمُ
مكـــــــنُ الضـــــــباب لهـــــــم زادٌ بـــــــلا ثمـــــــنِ
يســـــــــتخبرون فـــــــلا أعطـــــــيهمُ خبـــــــري
ومـــــا يطـــــيش لهـــــم ســـــهمٌ مـــــن الظـــــنِ

هذا الألم العاصف والثورة الهادرة التي ترشح من هذه الكلمات هي بالتأكيد انعكاس لخيبة أمل كبيرة، ثم زاد في ذلك الأخبار الواردة من جدته طالبة حضوره إلى الكوفة، فشد رحاله واتجه ميمما نحوها، بيد أن أعداءه والمضطغنين له كانوا في كل مكان. ألم يقل:

عدوي كل شيء فيك حتى لخلت الأكم موغلة الصدورِ

نعم كان الكثير من الكوفيين موغلة صدورهم بالبغض له، فجاءه من حذره الدخول إلى الكوفة فانعطف نحو بغداد وأرسل في طلب جدته فلما قرأت كتابه، ماتت حسرة عليه وتشوقا إليه، فلما وصله خبر وفاتها، ثارت ثائرته وعادت إليه تلك النفس الطافحة بالغضب والمتعالية على كل شيء.

فرثاها بتلك القصيدة الخالدة :

ألا لا أري الأحداث مدحا ولا ذمّا

فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى

يعود كما أبدي ويُكري كما أرمى

بهذه الصورة المليئة بالحكمة والنظرة العميقة للحياة ابتدأ مرثيته العظيمة،

وقد رأي بعض الباحثين أن بعض أبيات هذه القصيدة تدل على شرف نسبه ونسب جدته:

و لو لم تكوني بنت أكرم والد
لكان أباك الضخم كونك لي

أمّا والبيت الآخر:

وإني لمن قومٍ كــأن نفوسهم
بها أنف أن تسكنَ اللحمَ والعظما

ولا أظن أن في فخر المتنبي دليلا على شرف نسب ولا في مدائحه لمن مدحهم دليلا على عظمة ذلك الممدوح فإننا قد تعودنا منه الإفراط في المبالغة.

واستعظم قوم ما قاله في أخر قصيدته هذه فقال:

يستعظمون[1] أبيّاتا نَأَمتُ بها
لا تَحْسِدُنَّ على أنْ ينأمَ الأسدا
لو أنَّ ثمَّ قلوبا يعقلون بها
أنساهمُ الذعرُ مما تحتَها الحَسَدا

وقد صغر أبياتا تحقيرا لها كما قال ابن جني أي أنها أقل من أن تصف شانه. فهي أشبه بزئير الأسد فهل يحسد الأسد على الزئير.

نعم كان وقع موت الجدة عليه كبيرا، اجتمع مع ما سبقه من ضيق وحزن بعد فراقه لبدر، فافرغ شحنة هذا الحزن وهذه الثورة في قصائده التي نظمها بعد عودته من العراق، ولم تكن بغداد وأجواؤها مغرية للمتنبي، فما أن جاءه خبر وفاة جدته حتى

[1] في الفسر: يستكبرون وفي معجز أحمد (يستكثرون) وعند الواحدي والتبيان واليازجي: يستعظمون . والأسدا منصوب بـ(لاتحسدن) كذا قال ابن جني: أي لا تحسدن الأسدا

شد الرحال عائدا إلى الشام فتوجه نحو أنطاكية، وهناك التقى عددا من الوجهاء فمدحهم، ونال عطاياهم، فكانت لاميته التي مدح بها القاضي أحمد بن عبد الله بن الحسين الأنطاكي والتي أولها:

لك يا منازل في القلوب منازل
أقفرت أنت وهُنَّ منك أواهلُ

ومنها في تعظيم نفسه:

لا تجسرُ الفصحاءُ تُنشد هاهنا
بيتاً ولكنّي الهزبرُ الباسلُ
ما نالَ أهلُ الجاهلية كلُّهم
شعري ولا سمعتْ بسحريَ بابلُ
وإذا أتتكَ مذمتي من ناقصٍ
فهْيَ الشهادةُ لي بأنّي كاملُ
من لي بفهمِ أُهَيْلِ عصرٍ يدَّعي
أن يَحْسُبَ الهنديَّ فيهم باقلُ

ثم مدح أخاه سعيد بن عبيد الله بنونية، أولها:

قد عّلَّم البينُ منا البين أجفانا
تدمي وألف من ذا القلب أحزانا

ومنها:

أبدو فيسجدُ من بالسوءِ يذكرُني
فلا أعاتبه صفحا وإحسانا

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني

إنّ النفيس غريب أينما كانا

محسّد الفضل مكذوب على أثري

ألقى الكمي ويلقاني إذا حانا

ومنها

لا أشـــرئب إلـــى مـــا لـــم يفـــت طمعـــا

ولا أبيـــت علـــى مـــا فـــات حســـرانا

ولا أســـرُّ بمـــا غيـــري الحميـــد بـــه

ولـــو حملـــت إلـــي الـــدهر ملآنـــا

لا يجـــذبن ركـــابي نحـــوه أحـــدٌ

مـــا دمـــت حيـــا ومـــا قلقلـــن كيرانـــا

لـــو اســـتطعت ركبـــت النـــاس كلهـــم

إلـــى ســـعيد بـــن عبـــد الله بعرانـــا

فـــالعيس أعقـــل مـــن قـــوم رأيـــتهمُ

عمـــا يـــراه مـــن الإحســـان عميانـــا

لقد حوله حزنه وثورته إلى رجل ناقم على الناس، مستعظما نفسه مستصغرا غيره، أليس هو القائل؟

تغرب لا مستعظما غير نفسه

و لا راضيا إلّا لخالقه حكما

أما قصيدته التي مدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران فكانت أقل حدة من ذينك القصيدتين ولكنه لم يغفل إلى الإشارة إلى نفسه وهذه المرة كانت الإشارة إلى أخلاقه:

و تـــرى المروءة والفتوة والأبوة
فـــيَّ كـــلُّ مـــليـــحة ضراتها
هنّ الثـــلاث المانـــعاتي لذتـي
في خلوتي لا الخوف من تبعاتها
و مـــطالب فيها الهـــلاك أتيتها
ثـــبت الجنان كأنـــني لـم آتها

ونلاحظ في البيتين الأولين تنويه المتنبي بالقيم الأخلاقية التي تتحصن بها نفسه، فهذه المروءة والفتوة هي التي تجعله يأنف من الانحدار في طريق الشهوات، وهي التي تُوَلِّدُ في نفسة مشاعر الأبوة لكل مليحة، وهي كذلك التي تمنعه من معاقرة الخمر، وهو كما نرى التزاما أخلاقيا وليس دينيا، كما يصرح بذلك بقوله (لا الخوف من تبعاتها)، ولعل هذا الالتزام الأخلاقي ناتج عن ما تمتلئُ به نفسه من كبر وأنفة واعتداد،

ولعلنا نلحظ في القصيدة التي تليها والتي امتدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي أن حديث المتنبي عن نفسه وعن مطامحه لا يقل عن حديثه عن ممدوحه، بل لعل في هذه القصيدة صورة أكثر وضوحا وقربا من صورته قبل أن يسجن، فقد عادت لنفسه مشاعر الثورة والحقد على الملوك والضجر مما هو فيه فاستمع اليه وهو يقول:

أطاعنُ خيلا من فوارسها الدهرُ
وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ
وأشجع مني كلَّ يومٍ سلامتي
وما ثبتت إلّا وفي نفسِها أمرُ

تمرَّستُ بالآفاتِ حتى تركتها
تقولُ أماتَ الموتُ أم ذُعرَ الذعرُ
وأقدمتُ إقدام الأتيّ كأنَّ لي
سوى مهجتي أو كان لي عندها وِترّ
ذرِ النفس تأخذ وسعها قبل بينها
فمُفتَرِقٌ جاران دارُهما العمرُ
ولا تحسبن المجدَ زقّاً وقينةً
فما المجدُ إلّا السيفُ والفتكةُ البكرُ
وتضريبُ أعناقِ الملوك وأن تُرى
لك الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجرُ
وتركُكَ في الدنيا دويّاً كأنّما
تداولَ سمعَ المرءِ أُنمُلُهُ العشرُ

ومنها:

وما قلتُ من شعرٍ تكادُ بيوتُهُ
إذا كُتبتْ يبيَّضُ من نورها الحِبرُ
كأنَّ المعاني في فصاحة لفظها
نجومُ الثريا أو خلائقُكَ الزُهرُ
وجنَّبني قُربَ السلاطينِ مقتُها
وما يقتضيني من جماجمها النسرُ

ولعل في هذا البيت الأخير دليل على ما ذهبنا إليه من أن شعر أبي الطيب لا يمكن أن يعكس لنا الصور الحقيقة ولا الصورة المقربة من صدق بعض دعاواه، والتي رأى فيها بعض الأساتذة الباحثين دليلا على شرف نسب أو غير ذلك، ولو كان صادقا لأبعده

(مقته) هذا عن مدح هؤلاء السلاطين ومنهم (سيف الدولة وكافور والمعتضد) وغيرهم. ولكنَّ مقتَ أبي الطيب للملوك يظهر كلما أبعدته الظروف عنهم.

ومن ثّمّ نخلص إلى أن الوعيد الذي نقرأه في هذه القصيدة والتي مدح بها علي بن محمد بن سيار في أنطاكية وفي تلك الفترة أيضا والتي يقول فيها:

أقلُّ فعالي بَلْــهَ أكثــرَهُ مجدُ وذا الجِدُّ فيه نلتُ أم لم أنلْ جَدُّ

سأطلبُ حقي بالقنا ومــشايخٍ كأنَّهمُ مــن طولِ ما التثموا مُردُ

ثقالٍ إذا لاقوا خفافٍ إذا دُعوا

كثيرٍ إذا اشتدوا قليلٍ إذا عُدّوا

وطعنٍ كأنَّ الطعنَ لا طعنَ بعدَهُ

وضــربٍ كأنَّ النارَ من حرّهِ بردُ

إذا شئتُ حفَّتْ بي على كلِّ سابح

رجالٌ كــأنَّ الموتَ في فمها شهدُ

هذه الأبيات رأى فيها البعض خطرَ نسبهِ وأنّه لابد أن يكون علويّا، ورأى آخر أنّهُ ابن الإمام المهدي وادعى آخرون أن هذه الأبيات دليل على قرمطيته. وأنا أستغرب هكذا استنتاجات ينقصها التمحيص في خصائص شعر المتنبي، إن أحاديثا مثل هذه تنبؤنا عن حالم كبير استطاع أن يصور من نفسه قائدا لجيوش سرية متى ما أشار أحاطت به (إذا شئت حفت بي على كل سابح). وما الذي منع المتنبي أن يشاء!؟ وهو في معظم أطوار حياته مطالبا برؤوس الملوك وساعيا إلى نيل الإمرة على ولاية بكل ما أُتي من جهد، أليس عجيبا أن نصدق بهكذا دعوة بعد ألف عام والحقائق أمام أعيننا!؟ ثم لماذا حاد نظر هؤلاء الأساتذة عن الأبيات التي تليها ومنها:

أذمُ إلــى هــذا الزمــانِ أهيــلهُ فـأعلمهم فدمٌ و أحـزمهم وغدُ

وأكــرمهم كلبٌ وأبصرهـــم عمٍ و أسهدهم فهدٌ وأشجعهم قردُ

ومن نكد الدنيا على الحرَّ أن يرى عــدواً له مـا مـن صداقته بدُ

ولم يكن المتنبي صادقا كصدقه في البيت السابق، وها هو يعود إلى واقعه، فيتذكر جدته:

خليلاي دون الناس حزنٌ وعبرةٌ

على فقد من أحببت مالهما فقدُ

تــلجُّ دمـوعي بالجفــون كأنما

جفوني لعيني كلَّ بـــاكية خــدُ

ثم عزم على الرحيل إلى دمشق فسجل ذلك بأبيات ودع فيها أحد اصدقائه:

أما الفراق فإنه ما اعهدُ هو توأمي لو أنّ بيناً يولدُ

غير أنَّهُ وكما هو ديدنه لا تخلو بقعة من الأرض من حاسدين له ومبغضين، ويبدو أنَّ قوماً ممن ينتسبون إلى العباس بن علي بن أبي طالب وهم من أبناء أبي الطيب الذي قتله ابن طغج وقد ذكرناه سابقا. كان هؤلاء يكنون له العداء والبغض فهجاهم بأبيات أولها:

أماتكم من قبل موتكم الجهل

وجركم من خفة بكم النملُ

وفي دمشق التقى بأبي بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب ومدحه بقصيدة أولها:

كفرندي فرندُ سيفي الجرازِ لذةُ العينِ عدةٌ للبرازِ

ثم مدح الحسين بن علي الهمذاني بقصيدة أولها:

لقد حازني وجد بمن حازه بعدُ فيا ليتني بعدٌ و يا ليتهُ وجدُ

ثم عاد إلى طبرية، وفي عام ٣٣٦ هـ جاءته دعوة من الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج وكان حينئذ واليا على الرملة(فلسطين) فتوجه إليه،

ويبدو أن أولاد أبي الطيب العباسي قد أضمروا له الشر ، فلما خرج من أنطاكية كمنوا له في كفر عاقب، فاتخذ طريقا آخر، فلم يتمكنوا من النيل منه. وهو ما أشار له في قصيدته التي مدح بها طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي. وأشار لهم أيضا في خاتمة أولى قصائده في الأمير الحسن بن عبد الله بن طغج:

أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللوائمِ

علمتُ بما بي بين تلك المعالمِ

ومنها:

فمالي وللدنيا: طلابي نجومها
ومسعاي منها في شدوق الأراقم
ومن عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس روّى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به
ولا في الردى الجاري عليهم بآثم
إذا صِلْتُ لم أتركْ مصالاً لفاتكٍ
وإن قلتُ لم أتركْ مقالاً لعالمِ
وإلّا فخانتي القوافي وعاقني
عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

وهي كما نلاحظ مقدمة تتحدث عن فخر الشاعر بنفسه، وهو أسلوب ونهج اتخذه أبو الطيب كإحدى السمات البارزة لشعره. وفي ختام القصيدة يعرض الشاعر بأولئك الذين نصبوا العداء له وحاولوا قتله، فيقول:

وفارقت شرَّ الأرض أهلا و تربة بها علـــويٌّ جـــدُّهُ غيـــرُ هاشمِ

بَلا اللهُ حسّادُ الأمــيرِ بـــحلمِهِ وأجلـــسَهُ منهم مكانَ الـعمائم

فأنَّ لهم في سرعـة الموتِ راحةً وإنَّ لهم في العيش حزَّ الغلاصم

بقي أبو الطيب بصحبة الأمير ابن طغج بضعة أشهر لاقى فيها تقدير كبيرا من الأمير، فانبسطت أساريره وأحسَّ بالسعادة والراحة حتّى أنّه شربَ الخمرة إكراما له، ولما طلب منه أن يمدح طاهر بن الحسين العلوي امتنع في بادئ الأمر، ولكنه استجاب لطلب الأمير بعد أن ألح عليه، فكانت قصيدته التي أولها:

أعـــيدوا صباحي فهو عند الكواعبِ

وردّوا رقـــادي فهو لحظ الحبائبِ

وفيها ما أشرنا له سابقا من التعريض بأولئك العلويين الذين حاولوا اغتياله في كفر عاقب، "وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، فنزل بطرابلس، وبها لإسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ، وكان رجلا جاهلا، وكان يجالسه ثلاثة من بني حيدرة، وكان بين أبي الطيب وبين أبيهم عداوة قديمة، فقالوا له: ما يجب أن يتجاوزك ولم يمتدحك، وإنما يترك مدحك استصغارا لك، وجعلوا يغرونه به، فراسله إسحاق وسأله أن يمدحه، فاحتج أبو الطيب بيمين عليه: أنه لا يمتدح أحدا إلى مدة حدّها، فعاقه عن سفره، ينتظر انقضاء تلك المدة، وأخذ عليه الطرق وضبطها، فقام أبو الطيب يهجوه وهو بطرابلس،... فلما خف الثلج عن لبنان خرج كأنه يُسَيّر فرسه، وسار إلى دمشق، فاتبعه ابن كيغلغ خيلا ورجلا، فأعجزهم وظهرت القصيدة

واشتهرت" [1] والقصيدة مليئة بالهجاء الفاحش ولكنها لا تخلوا من الأبيات السامية المعنى والغنية بالحكمة وهذا ما نجده في أولها يقول:

لهوى القلوب سريرةٌ لا تُعلم
عرضاً نظرتُ وخلتُ أني أسلمُ
يا أخت معتنق الفوارس في الوغى
لأخوك ثمَّ أرقُّ منك وأرحمُ
يرنو إليك مع العفاف و عندهُ
أنَّ المجوسَ تصيبُ فيما تحكمُ
راعتكِ رائعةُ البياض بعارضي
ولو أنها الأولى لراع الأسحمُ
لو كان يمكنني سفرتُ عن الصبا
فالشيبُ من قبلِ الأوان تلثمّ
ولقد رأيتُ الحادثات فلا أرى
يققاً يميتُ ولا سواداً يعصمُ
والهمُّ يخترمُ الجسيمَ نحافةٍ
ويشيب ناصية الصبيَّ ويُهرمُ
ذو العقلِ يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
والناس قد نبذوا الحفاظَ فمُطْلَقٌ
ينسى الذي يولى وعافٍ يندمُ

[1] معجز أحمد- ج٢- ص ٤٥٨-٣٥٩

لا تخدعنَّك من عدوٍ دمعةٌ
وارحم شبابك من عدوٍّ تُرحمُ
لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى
حتى يُراق على جوانهِ الدمُ
يؤذي القليلُ من اللئامَ بطبعهِ
من لا يقلُّ كما يقلُّ ويَلْؤُمُ
والظلمُ في خِلقِ النفوسِ فإن تجدْ
ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ
ومن البلية عذلُ من لا يرعوي
عن جهلهِ وخطابُ من لا يفهمُ

فهذه الأبيات المنسابة والتي تقطر الحكمة من جوانبها، لا شك أنها تستحق الوقوف عندها و التمتع بما فيها من جمال وعذوبة.

ثم يبين عن وجهته القادمة بأحد أبيات هذه القصيدة بقوله:

وأرغت ما لأبي العشائر خالصا إنّ الثنـــاء لمن يزارُ فــينعمُ

وانتقل أبو الطيب إلى أنطاكية حيث أبي العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة، فمدحه بقصيدة أولها:

أتــراها لـــكثـــرةِ العشاقِ تحسب الدمعَ خِلقةً في المآقِ

ومنها:

شاعرُ المجد خِدْنُهُ شاعر اللفظِّ كلانا ربُّ المعاني الدقاقِ

ومن القصائد التي فتحت نوافذ لتأويلات مختلفة، حول نسب المتني هي القصيدة التي مدح بها أبا العشائر، ويبدو أنّ هناك من أثار حفيظته بالسؤال عن نسبه، أو لفق عليه بعض الأكاذيب، فقال فيها:

لا تحسبوا ربعكم ولا طللَه أولَّ حيّ فراقكـــم قتلهْ

ومنها:

أنا ابن من بعضُهُ يفوقُ أبا البا حثِ والنجلُ بعض من نجلَهْ
إنّما يذكرُ الجدود لهم منْ نفَّروه وأنفدوا حيلَهْ
فخراً لعضبٍ أروح مشتمله وسمهريٍّ أروح معتقله
وليفخر الفخر إذ غدوتُ به مرتديا خيره ومنتعلَهْ
أنا الذي بيّن الإلهُ بهِ الأ قدار والمرءُ حيثما جَعَلَهْ
جوهرة تفرح الشراف بها وغصة لا تسيغها السفِلَهْ
إنَّ الكِذاب الذي أُكادُ به أهونُ عندي من الذي نقلَهْ
فلا مبالٍ ولا مداجٍ ولا وانٍ ولا عاجزٌ ولا تكلَهْ
ودارعٍ سِفْتُهُ فخرَّ لَقًى في الملتقى والعجاجِ والعجلهْ
وسامعٍ رعتهُ بقافيةٍ يحار فيها المنقحُ القوَلَهْ
وربما أشهدُ الطعامَ معي من لا يساويَ الخبز الذي أكلَهْ
ويظهرُ الجهلَ بي وأعرفُهُ والدرُّ درٌّ برغمِ من جَهِلَهْ

وقد ذهب بعض الباحثين في تفسيرهم للبيت الذي يقول فهي: (أنا ابن من بعضه...) إلى أن في هذا دليل على شرف نسب المتنبي، وبعضهم قال إنّه دليل على علويته أو بنوته للإمام المهدي معززا ذلك بما ورد في البيت الذي يقول فيه: (أنا الذي بيَّن الإله به

الأقدار...)، و قد بين أبو الفتح ابن جني المراد بهذا فقال:" يقول: أنا الذي جعلني الله تعالى من الفضل والكمال، فقدر كل إنسانٍ يتبين إذا قدر بفضلي، وقيس محله إلى محلي، وقيل: إن اقدار الناس تتبين بمدحي أو بهجوي، فمن مدحته رفعتُ قدره، ومن هجوته وضعتُ قدرته وأخملت ذكره".[1]

و في الأبيات مبالغة واضحة وقيل أن المقصود بقوله: أنا ابن من بعضه يفوق أبا الباحث: إنما قصد السيف أي أنّه ابن السيف الذي بعضه يفوق أبا الباحث, و دليل ذلك قوله: فخرا لعضب أروح مشتمله، وسواء قصد السيف أم أبيه فلا غرابة في ذلك، فقد اعتدنا مبالغاته، ومن الطبيعي أن يرى أن بعض والده يفوق أبا الباحث. ومهما كان شأن والده، فإن كل إنسان يرى والده بعين الإكبار والفخر، وقوله: إنّما يذكر الجدود لهم من نفروه، فهو حقيقة ناصعة فاسم أبي الطيب علمٌ بذاته لا يحتاج إلى تعريف. وهو ما أراده الشاعر، وهو ما يبين مدى ثقته واعتداده بنفسه, وكما قلت فإنني لا أرى لا في هذه القصيدة ولا في غيرها دليلا على نسب علوي، بل إنّ تأكيده على الامتناع عن ذكر الجدود واكتفائه بنفسه، هو دليل على عدم وجود صلة بهذا النسب الذي لو كان له صلة به لما تورع أن يفخر به، وأن بلغت عظمة نفسه ما بلغت.

لقد ترك أبو الطيب في فترة صحبته لأبي العشائر خمسة عشر نصا بين قصيدة وقطعة. ولا شك أنّها لم تخلُ من فخر الشاعر بنفسه وقد ذكرنا في الأبيات السابقة نموذجا لهذا الفخر.

[1] الفسر-ج٢- ص٥٢٢

المتنبي بين عامي ٣٣٧هـ و ٣٥٤ هـ

ثم انتقل أبو الطيب في عام ٣٣٧ إلى جوار سيف الدولة وبجواره بلغ قمة الإبداع. وهي من أهم فترات حياة المتنبي، إذ شهدت العلاقة بينه وبين الأمير أطول فترة من الاستقرار، رغم ما اكتنفها من أحداث و مؤامرات عليه من قبل الحاسدين، وربما تصدرهم ابن عم سيف الدولة الأمير الشاعر أبو فراس الحمداني، فلم تكن علاقة أبي الطيب بهذا الأمير بأفضل حال، وربما مبعث ذلك هو حسد الشاعر للشاعر، كما إنَ علاقة المتنبي بابن خالوية النحوي مربّي سيف الدولة كان يشوبها الكدر أيضا، وكان لهذه العلاقات السيئة أثراً في رحيل المتنبي عن سيف الدولة في نهاية الأمر، ولا أريد أن أخوض كثيرا في تفاصيل حياته في هذه الفترة، فهي ربما تكون معروفة للجميع وما يهمنا منها هو الجانب الإشكالي والخاص بما زعمه بعض الباحثين من علاقة الحب بين أبي الطيب و الأميرة خولة أخت سيف الدولة مستندين بذلك على ما جاء في مرثيته لها، فهل كانت هناك علاقة حب؟ لنرى ما تحدثنا به القصيدة:

يا أخت خير اخ يا بنت خير أبِ كناية فيهما عن أشرف النسبِ

ومنها:

طوى الجزرةَ حتى جاءني خبرٌ
فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ
حتى إذا لم يدع لي صدقُهُ أملاً
شرقتُ بالدمع حتى كاد يَشرَقُ بي
تعثّرتْ بهِ في الأفواهُ ألسنها
والبُردُ في الطرْقِ والأقلامُ في الكتبِ

كأنّ فعلة لم تملأ مواكبها
ديار بكر ولم تخلعْ ولم تَهبِ
ولم تردَّ حياةً بعد تولية
ولم تغثْ داعياً بالويلِ والحَرَبِ
أرى العراقَ طويلَ الليلِ مُذْ نُعِيَتْ
فكيف ليلُ فتى الفتيانِ في حلبِ
يظنُّ أن فؤادي غير ملتهبِ
وأنّ دمع جفوني غيرَ منسكبِ
بلى وحرمةِ من كانتْ مراعيةً
لحرمةِ المجدِ والقصّادِ والأدبِ

ومنها:

يعلمنَ حينَ تُحَيّا حُسْنَ مبسمِها
وليسَ يعلمُ إلّا اللهُ بالشنبِ
مسرّةٌ في قلوبِ الطيبِ مفرقُها
وحسرةٌفي قلوبِ البيضِ واليَلَبِ
ومنها:
ولا ذكرتُ جميلا من صنائعها
إلّا بكيتُ ولا وُدٌّ بلا سببِ
قد كان كلُّ حجابٍ دون رؤيتها
فما قنعتِ لها يا أرض بالحجبِ

ولا رأيتِ عيونَ الأنس تدركها
فهلْ حسدتِ عليها أعينَ الشهبِ
وهل سمعتِ سلاما لي ألمَّ بها
فقد أطلتُ وما سلمتُ من كثبِ

إنّ نظرة فاحصة لأسلوب أبي الطيب في قصائده، وخاصة تلك التي نظمها للذين ارتاحتْ نفسُهُ إليهم، يجد أنه قد وظف مفردات العشق والمحبة في خطابه لهم، وهي سمة بارزة من سمات شعره، ولذا فإننا لا نستغرب أن ينهج في مراثيه ذات المنهج، وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الفترة التي عاشها في كنف سيف الدولة، والتي لا نستبعد أن يكون لخولة إحسانٌ ما قد شملَهُ، و لعل من بين أهم الخصال النبيلة التي اتصف بها أبا الطيب، هي خصلة الوفاء، وخاصة للذين أحسَّ بأنّهم كانوا صادقين بمودتهم معه، ومن أخص هؤلاء سيف الدولة وأهل بيته بكل تأكيد، وهو برغم الأسباب التي دعته لفراقه بقي مشدودا إليه، محملا له بالود والمحبة والتقدير. والشواهد على ذلك كثر، سواء في قصائده الهجائية لكافور، أم في الفترة التي قضاها في العراق بعد عودته من مصر. غير أن أنفته وعزة نفسه وكبره هو الذي دعاه في بادئ الأمر إلى الرحيل عنه، وهو الذي منعه أيضا من العودة إليه، ليس بغضا به، وإنّما بغضا بمن يحيطون به، والذين شعر المتنبي أن لوجودهم في البلاط قوة أكبر مما له؛ بسبب صلة القرابة أو صلة التربية كما هي مع ابن خالويه، ولا يبعد أن يكون قد خشي منهم على نفسه، وهو أمر ليس بمستبعد خاصة أن أحدهم وهو أبو العشائر قد كلَّفَ أحد غلمانه باغتياله في باب سيف الدولة ذات مرة، فلم يملك أبو الطيب إلّا أن يكتب له قائلا:

ومنتسبٌ عندي إلى من أحبُّهُ
وللنبلِ حولي من يديهِ حفيفُ
فهيج من شوقي وما من مذلةٍ
حننتُ ولكنّ الكريمَ ألوفُ

وكـــــــلُّ ودادٍ لا يـــــــدومُ علـــــى الأذى
دوامَ ودادي للحســـــــــينِ ضـــــــــعيفُ

فـــإن يكـــن الفعـــلُ الـــذي ســـاءَ واحـــداً
فأفعالـــــــهُ اللائـــــي سَـــــرَرْنَ ألـــــوفُ

ونفســـي لـــــهُ نفســـي الفـــداءُ لنفسِـــهِ
ولكـــــــنَّ بعـــــضَ المـــــالكينَ عنيـــــفُ

فـــإن كـــان يبغـــي قتلهـــا يـــكُ قـــاتلاً
بكفيـــــهِ فالقتـــــلُ الشـــــريفُ شـــــريفُ

وواضح ما في هذه القصيدة من تملقٍ و مداراةٍ و تخضُّعٍ وكظمٍ لغيض، برغم ما في النفس من مرارة، كلُّ ذلك خشية أن يفقد ما ناله من مكانة لدى سيف الدولة، وما لقيه من ارتياح لهذه الحياة الجديدة، ولكنّهُ عندما أحسَّ أن الأجواء المحيطة به كلها أصبحت ملغمة بالكره والحسد له، بات لا يأمن على حياته، وهو ما دعاه أن يفرّ إلى مصر حفاظا على نفسه.

وبالعودة إلى رثائية المتنبي لخولة أرى أن تلك القصيدة لا تملك أن تكون دليلا راجحا على حبِّ المتنبي للأميرة، فهي تتَّبِعُ ذات الأسلوب وذات النهج، وإذا ما نظرنا في قصيدة المتنبي في أم سيف الدولة، فسنجد أن فيها ما يقرب من ذات الخطاب، وإن كانت نسبة التشابه قليلة؛ وذلك بسبب أن والدة سيف الدولة قد توفيت في أول أيام اتصال المتنبي به، ولم تكن العلاقة قد توطدت بعد، ورغم ذلك نجده يخاطبها بقوله:

صـــلاة الله خـــالقنا حنوط   على الوجـــه المكفَّـنِ بالجمالِ

على المدفون قبل الترب صوناً   و قبلَ اللحدِ في كَـــرَمِ الخِلالِ

ومنها:

بعيشكِ هل سَلَوْتِ فإنّ قلبي وإن جانبت أرضكِ غير سالِ

نزلتِ على الكــراهة في مكـانٍ بعدتِ عن النعامى والشمالِ

تُحجب عنكِ رائحة الخزامى و تمنع منـك انداء الطــلالِ

إن إحساس المتنبي بتغير معاملة سيف الدولة له، وتكرر تجاوزات المقربين من البلاط عليه، ويأسه من الحصول على أمله الأكبر في الإمارة، أجبره على التفكير بالرحيل، وفجّر في نفسه مشاعر الكبر والاعتداد بالنفس، فنظم قصيدته الميمية التي كانت بمثابة طلقة الرحمة على تلك العلاقة الكبيرة بين شاعر السيف وشاعر القلم. فبدأها بصيغة العتاب:

واحرّ قلباه ممن قلبُهُ شَبِمُ

ومن بجسمي وحالي عندَهُ سقمُ

مالي أكتمُ حبّا قد برى جسدي

وتتدعي حبَّ سيف الدولةِ الأممُ

ومنها:

يا أعدل الناس إلّا في معاملتي

فيك الخصامُ وأنت الخصمُ والحكمُ

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً

أن تحسب الشحم فيمن شحمَهُ ورمُ

وما انتفاعُ اخي الدنيا بناظره

إذا استوت عندهُ الأنوار والظلمُ

سيعلمُ الجمع ممن ضمَّ مجلسنا
بأنني خيرُ من تسعى به قدمُ
أنا الذي نظرَ الأعمى الى أدبي
وأسمعتْ كلماتي من به صممُ
أنامُ ملءَ جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصمُ

ومنها:

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم
وجداننا كلَّ شيء بعدكم عدمُ
ما كانَ أخلقنا منكم بتكرمةٍ
لو أن امركمُ من أمرنا أممُ
إن كان سركمُ ما قالَ حاسدنا
فما لجرحٍ اذا أرضاكم ألمُ

وواضح من هذه الأبيات حجم المرارة التي شعر بها المتنبي من كيد الحاسدين له وتغاضي سيف الدولة عن تجاوزاتهم عليه. فلم ير بدّاً من الفراق رغم محبته لسيف الدولة.

لم يرَ المتنبي مكانا أفضل من مصر يلتجئُ إليه، لما بين سيف الدولة وكافور من خلاف وتنافس، ولكنَّهُ لم يكن ليذهب دون دعوة ،فنزل في دمشق وهي يومئذ تتبع لحاكم مصر، فلمّا علم كافور به بعث له يدعوه للإقامة عنده،" وقيل أن في دمشق كان يهوديا من قبل كافور اسمه ابن ملك، وقد رغب في أن يمدحه المتنبي فأبى أن يفعل، فغضب، فلما طلبه كافور كتب إليه أن المتنبي يقول(ما أقصدُه فإنّه عبد، وإذا دخلت مصر فإنما قصدي مولاه فأحفظته كتبه) ونبت دمشق بأبي الطيب فسار منها إلى الرملة فحمل إليه أميرها الحسن بن عبيد الله بن طغج هدايا وخلع عليه وحمله على

فرس جواد بمركب ثقيل وقلده سيفا محلى، وسأله المدح فاعتذر إليه بالأبيات الرائية وهي قوله"[1]:

ترك مدحيك كالهجاء لــنفسي و قــليلٌ لــك المديحُ الكثيرُ

غير أني تركتُ مقتضب الشعر لأمــر مثلــي به مــعـــذورُ

وسجاياك مادحاتكَ لا لفــظي وجـــودٌ عــلى كلامي يــغيرُ

فــسقى الله من أحب بكفيــك وأســـقاك أيهـــذا الأمــيرُ

فتوجه إلى مصر سنة ٣٤٦هـ ، و كانت أولى قصائده في مدح كافور قصيدته التي يقول فيها:

كفى بك داء أن ترى الموتَ شافيا
و حسب المنايا أن يكُنَّ أمانيا

ومنها في التلميح إلى ما لقيه من سيف الدولة:

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى
ولا تتقى حتى تكون ضواريا
حببتك قلبي قبلَ حبُّك من نأى
وقد كان غدّارا فكن أنت وافيا
وأعلمُ أن البين يُشكيك بعدَهُ
فلستَ فؤادي إن رأيتك شاكيا
فإن دموع العين غُدرٌ بربها
إذا كُنّ إثرَ الغادرينَ جواريا

[1] معجز أحمد- ج٤-ص١٣و١٤

و قد أشرنا فيما سبق إلى أن هم المتنبي الأكبر كان في الولاية، وقد وعده كافور بذلك فلما طال الأمد، ولم يتحقق الوعد لم يجد بدّاً من التصريح بمطلبه فقال:

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله
فإنّي أغـني مـنذ حين وتشربُ
وهبتَ عـلى مقدارِ كـفَّيْ زمـانـنا
ونفسي على مقدارِ كفيكَ تطلبُ
إذا لم تـنـطْ بـي ضيعـةً أو ولايةً
فجودُك يكسوني وشُغلُكَ يسلبُ

ولكنّ كافورا كان يخشى أطماع أبي الطيب فلم يحقق له ما كان يأمله، ولمّا يئسَ صار همُّهُ في الرحيل، ولكنَّهُ لم يجد مجالا لذلك، فقد كانت عيون كافور تحاصره، فلما حانت الفرصة وانشغل الناس بالعيد، انتهزها وهرب قاطعا الفيافي نحو الكوفة في عام ٣٥٠هـ ، وقد قال يهجوه في يوم (عرفه) قبل مسيره من مصر بيوم واحد:

عيدٌ بأيةِ حالٍ عدتَ يا عيدُ
بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديدُ
أما الأحبةُ فالبيداء دونهمُ
فليت دونك بيدٌ دونها بيدُ

ومنها:

إني نزلتُ بكذابين ضيفهمُ
عن القرى وعن الترحالِ محدودُ
جودُ الرجال من الأيدي وجودهمُ
من اللسان فلا كانوا ولا الجودُ

ما يقبض الموتُ نفساً من نفوسهمُ
إلّا وفي يده من نتنها عودُ
من كلّ رخوٍ وكاء البطن منفتقٍ
لا في الرجال ولا النسوانِ معدودُ
أكلما اغتالَ عبدُ السوءِ سيدّهُ
أو خانَهُ فلَهُ في مصر تمهيدُ
صارَ الخصيُّ إمام الآبقينَ بها
فالحرُّ مستعبدٌ والعبدُ معبودُ
نامت نواطيرُ مصرٍ عن ثعالبها
وقد بشمنَ وما تفنى العناقيدُ

وسار المتنبي قاطعا الفيافي كما تروي لنا ذلك قصيدته المقصورة، التي أولها:

ألا كـــل ما شية الخيزلى فدى كل ما شية الهيذبى

فدخل الكوفة في ربيع الأول سنة ٣٥١هـ بعد أن هجرها، أو هُجّر منها ما يقرب من ثلاثين عاما، وكان دخوله إليها بما يملكه من مال وغلمان وشهرة ومجد دخول القوي المهاب.

و لم يلبث أن توجه إلى بغداد، وكان فيها الوزير المهلبي الذي طمع في مديح أبي الطيب له, بيد أنّه لم يرق له ما لقيه في بغداد من تعامل سواء من المهلبي أو من حاشيته فترفع عن مدحه، فأثار ذلك حفيظته عليه، فحرض الشعراء وغيرهم ممن يتملقونه بهجائه والحط منه، فهجاه بعض الشعراء أمثال الحسين بن الحجاج بقوله:

يا ديـمة الصفع صبي عـــلى قـــفا المـتنبي
و يا قـــفـــاه تـــقدم حتى تصـــير بـــقربي
إنْ كـــنت أنـــت نـبيّاً فالقـرد لا شـك ربّي

وهجاه أبو الحسن البصري المعروف بابن لنكك وقد نظم عدة أبيات في هجائه، منها:

متــنبيكــم ابن ســقاء كوفان نـبي يــوحى من الكنيف إليْهِ

كان من فيه يَسْلَحُ الشعر حتى سلحت فــقحة الزمان عليهِ

فيما ألّف أبو علي الحاتمي رسالة فيه أسماها (الرسالة الحاتمية) ادعى فيها أنّه التقى المتنبي وناظره، وزعم أن الغلبة كانت له، وقد سُرَّ الوزير المهلبي بها. وعندما سئل أبا الطيب عن سبب عدم رده على من هجاه من هؤلاء الشعراء قال: "[1]إنّي فرغت من إجابتهم بقولي لمن هو أرفع طبقة في الشعر منهم:

أرى المـتشاعرين غروا بذمي و من ذا يحمد الداء العضالا

و من يك ذا فــمٍ مرٍّ مريضٍ يـجد مــرا بــه المــاء الزلالا

وقولي:

أفي كلّ يوم تحت ضبني شويعرٌ
ضعيفٌ يقاويني قصيرُ يطاولُ
لساني بنطقٍ صامتٍ عنهُ عادلُ
وقلبي بصمتي ضاحكٌ منه هازلُ
وأتعبُ من ناداكَ من لا تُجيبُهُ
وأغيظُ من عاداكَ من لا تُشاكلُ
وما التيهُ طبعي فيهمُ غيرَ أنّني
بغيضٌ إليَّ الجاهلُ المتغافلُ

[1] الصبح المنبي-ص ١٤٤

ولقد كان أبو الطيب محقا إذ لم يكلف نفسه الرد عليهم، فإن تفاهة هذه الأبيات تدل على حجم هؤلاء, لا قياسا بشاعرية المتنبي وإنّما قياسا بما يمكن أن يُعدَّ شعراً.

وفي عام ٣٥٣هـ كان للمتنبي موقف يدل على شجاعته وفروسيته، فقد ذكر ابن جني والمعري في شرح الديوان أن خارجيا من بني كلاب نجم في ظهر الكوفة فخرج أهل الكوفة لقتاله وخرج المتنبي وغلمانه معهم وقاتلوه، ووصل الأمر إلى بغداد فسار دلير بن لشكروز إلى الكوفة ووصلها بعد أن رحل بني كلاب عنها، فأنفذ إلى أبي الطيب ثيابا نفيسة من ديباج رومي وقاد إليه فرسا بمركب ثقيل، فمدحه المتنبي بقصيدة أولها:

كدعواك كلٌّ يدعي صحة العقلِ

ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل[١]

وهذا الموقف يدل على تبدل حال المتنبي في الكوفة وارتفاع مكانته بين أهلها، و لأن همَّ أبي الطيب وهمته لاتقف عند حال، فكان لا بد أن يبحث عن مصدر إلهام جديد، ومصادر إلهام المتنبي عادة هم ملوك ووزراء ولكن وفق معاييره هو، ومن بين معاير المتنبي الخاصة هي أن يمنحه الممدوح إلى جانب العطايا المادية المكانة الرفيعة التي تليق به، وأن لا تكون مدائحه تحت سلطة التهديد, ولذلك نراه يقحم نفسه في المخاطر اتقاء لتكلف مثل هذا المديح، كما جرى مع ابن كيغلغ وسيف الدولة في آخر أيامه معه، وكافور في آخر أيامه معه أيضا، والوزير المهلبي ومعز الدولة في بغداد، و أرى إنّ ما افترضه الأستاذ محمود شاكر وغيره من انحياز المتنبي لموضوع القومية العربية ليس له سند قوي يرتكز عليه، فلو كان هذا الانحياز من ثوابته ومتبنياته, لما لجأ الى مدح كافور وابن طغج ومساور ودلير وعضد الدولة من بعدهم، إنّ افتراضا كهذا هو ناتج عن الأنساق المضمرة في نفوس هؤلاء الأساتذة، ولا وجود لها في نفس المتنبي ومساعيه، وأرى إنّ أهم عامل مؤثر في نفس أبي الطيب هو مدى تقبل الممدوح لكِبْرِهِ واعتداده بنفسه وتقديمه وتمييزه عمن سواه، و إجلاله و إظهار الاهتمام والاحترام

[١] ينظر الفسر لابن جني –ص ٢٥٣ ومعجز أحمد- للمعري- ص ٢٦١

له، ولذلك فإنّ أبا الطيب كلما شعر أنّ ممدوحه حادَ عن هذا الخط نازعته نفسه لفراقه، و أنِفَ عن مدحه، وآثر الابتعاد عنه حتى لو كلفه ذلك حياته.

ولم يلق المتنبي في بغداد ما يرضي طموحه ويرضي غروره، فتوجه إلى بلاد فارس قاصدا عضد الدولة، فراسله ابن العميد ودعاه إلى زيارته في أرجان، فلما وصل إلى أطراف المدينة لم يدخلها، وآثر أن يعرف مدى حفاوة الوزير وإكرامه له، فأرسل أحد غلمانه يخبره بمقدمه، فخرج الوزير بجمع من الناس إلى أطراف المدينة واستقبله استقبالا أثلج صدره. وكان وصوله إلى أرجان في ربيع الأول سنة ٣٥٤ هـ.

فمدحه بقصيدة أولها:

بـاد هــواك صبرتَ أم لم تصبرا

وبُكاك إنْ لم يجر دمعك أم جرى

ووجد المتنبي من ابن العميد من التكريم ما جعله قريبا إلى نفسه فنظم فيه ثلاث قصائد ومقطوعتين، فلما أرسل له عضد الدولة طالبا زيارته، كان ابن العميد يحفزه على تلك الزيارة ويحثه عليها، فتوجه إليه واشترط عليه كما هي عادته أن ينشده وهو جالس ولا يقبل الأرض بين يديه، فوافق عضد الدولة على شروطه،

و أنشده في شيراز أولى قصائده فيه:

أوهٍ بديلٌ من قولتي واها لمن نأت والبديل ذكراها

وكان نصيب عضد الدولة من مدائح المتنبي ثمان قصائد. كان آخرها كافيته التي ودعه بها في شهر شعبان من عام ٣٥٤ يقول في أولها:

فدىً لكَ من يُقصّرُ عن مداكا

فــلا مــلكٌ إذن إلاّ فــداكا

وقد أول الأستاذ شاكر بعض أبيات هذه القصيدة إلى مرامٍ غير ما جاءت به، وزعم أن فيها إشارات إلى توقع أبي الطيب لمكيدة من عضد الدولة وهو أمر لا وجود له. فالقصيدة واضحة بينة المعاني والمقاصد.

و من غريب تأويلاته أنَّه زعم بأنّ في هذا البيت إشارة إلى تلك المكائد:

ومن قد ظَنَّ نثرَ الحبّ جوداً و يــنصب تحت ما نثر الشباكا

لا شك أنّ في البيت تعريض بشخص ما ولكن لو عدنا إلى ما سبقه لاتضح لنا مَنْ المراد بذلك التعريض:

و آمنا فداءك كلَّ نفسٍ و لو كانتْ لمملكةٍ مِلاكا

وواضح إنّهُ يرمي به من كان قبله وليس هو، وانظر الى قوله:

أروح وقد ختمت على فؤادي بحــبّك أن يحــلَّ به سواكا

و قد حملتني شــكــرا طويلا ثقيـلا لا أطيــق به حراكا

فأين هذه الإشارات التي زعمها!؟

ويقول الأستاذ شاكر" ثم انظر إلى يأس أبي الطيب وقد علم أنّهُ قد أحيط به، وأنه مقتول لامحالة.... إذ يقول:

وأيّــا شئت يا طرقي فكوني، أذاة، أو نــجاة، أو هــلاكا

.....

فمــا أنا غيرُ سهمٍ في هــواءٍ يعودُ ولم يجد فيه امتساكا"[1]

[1] المتنبي- ص٣٩٠

إن عملية اقتطاع الأبيات من سياقها وحرف مقاصدها هو فعل قصدي لتعزيز رأي لا يمت للحقيقة بصلة، ولنعيد الأبيات إلى سياقها وننظر هل كان ما افترضه الأستاذ شاكر صحيحا أم أنَّه مجرد وهم:

إذا اشْتَبَهَتْ دموعٌ في خدودٍ
تبيَّنَ من بكى ممنْ تباكى
أذمت مكرمات أبي شجاعٍ
لعيني من نواي على ألاكا
فزل يا بعد عن أيدي ركاب
لها وقع الأسنة في حشاكا
وأنى شئت يا طرقي فكوني
أذاة او نجاة أو هلاكا

ومنها

يشردُ يُمْنُ فنّاخَسرَ عنّي
قَنا الأعداءِ والطعنَ الدراكا
وألبس من رضاهُ في طريقي
سلاحا يذعرُ الأعداء شاكا
ومن أعتاض منك إذا افترقنا
وكلُّ الناس زورٌ ما خلاكا
وما أنا غير سهم في هواء
يعود ولم يجد فيه امتساكا
حييٌّ من إلاهي أن يراني
وقد فارقتُ دارك واصطفاكا

فأين هذه الإشارات التي زعمها، إن هذه الأبيات تنم عن مشاعر امتنان وحبّ، ووعد بسرعة العودة إلى هذا الملك الذي وجد عنده كما يبدو كل تكريم، و ربما حذره بعض محبيه من مخاطر الطريق لما كان يحمله من أموال كثيرة وهو ما أشار له في قوله(فأنى شئت يا طرقي)، و لعله كان يرى أن لا أحد يتعرض له كونه في حمى عضد الدولة وإلى ذلك أشار بقوله(وألبس من رضاه في طريقي سلاحا).

سار المتنبي محملا بالهدايا الثمينة والأموال، وقد نزل عند رجل يدعى أبو نصر محمد الجَبُّليّ وكان فاتك بن ابي جهل الأسدي قد نزل عنده قبل مجيء المتنبي واستعلم منه أخباره، وكان فاتك هذا خالَ ضبة الذي هجاه المتنبي بقصيدته التي أولها:

ما انصـفَ القـومُ ضبَّهْ و أمَّـهُ الطـرطبَّـه

فحذر أبو النصر المتنبي من شر فاتك هذا ونصحه أن يأخذ معه رجالا من البلدة التي هو فيها، يدلونه الطريق ويدافعون عنه، غير أن كبره وعزة نفسه منعته من أن يفعل ذلك، فلما وصل دير العاقول ظهر له فاتك ومعه جماعة من بني أسد، فقتلوه هو وابنه وغلامه، أما ما ذكره الرواة من محاورات بين أبي الطيب وغلامه أو ابنه وغيرها مما جرى في تلك الحادثة، فهو نتاج خيالهم لأن كل من كان مع أبي الطيب قُتل، فمن هذا الذي شهد تلك المحاورات؟ على أية حال لقد قَتَلَ فاتكُ هذا أبا الطيب وأخذ ما كان معه من أموال وهدايا ثمينة[1] و ترك جسده في العراء، إلى أن تهيأ له من دفنه، و قيل أنّه وجد في رحله ديواني أبي تمام والبحتري وهو كلام لا دليل عليه، إذ أن كل ما معه قد سرق أو فقد سواء ما كان يحمله من مدونات أشعاره، أم أشعار غيره.

وقد رثاه ابن جني وأبو القاسم بن علي الطبسي في أبيات قال فيها:

لا رعى الله سـرب هـذا الزمـانِ إذ دهانـا بمثـل ذاك اللسـانِ
مـا رأى النـاس ثـاني المتنبـي أي ثـانٍ يُـرى لبكـر الزمـانِ

[1] ينظر الصبح المنبي- ص١٧٠ - ١٧٤

كـان في نفسـه الكبيـرة جـيشٌ وفـــي الكبريـــاء ذا ســـلطانِ
هـــو فـي شـــعره نبـيٌّ ولكـــنْ ظهـــرت معجزاتـــهُ فـي المعـــاني

ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني يستثير فيها عضد الدولة على فاتك:

الـــــدهر أخبـــــث والليـــــالي أنكـــــدُ
مـــــن أن تعـــــيش لآهلهـــــا يـــــا أحمـــــدُ
قَصَـــــدَتْكَ لَمّـــــا أن رأتـــــك نفيســـــها
بخـــــلاً بمثلـــــك والنفـــــائس تُقصـــــدُ

ومنها

أترَكْـــــتَ بعـــــدَكَ شـــــاعراً واللهِ لا
لـــم يبـــقَ بعـــدَك فـي الزمـــانِ مُقَصِّـــدُ
أمـــــا العلـــــومُ فإنَّهـــــا يـــــا ربَّهـــــا
تبكـــــي عليـــــكَ بـــــأدْمُعٍ لا تَجْمَـــــدُ
يـــــا أيّهـــــا الملـــــك المؤيـــــدُ دعـــــوة
ممـــــن حشـــــاه بالأســـــى يتوقَّـــــدُ
هـــذي بنـــو أســـدٍ بضـــيفِكَ أوقعَـــتْ
وحـــــوتْ عطـــــاءَكَ إذْ حـــــواه الفرقـــــدُ
ولـــه عليـــك بقصـــده يـــا ذا العـــلا
حـــــقُّ التَحَـــــرُّمِ والـــــذمامُ الأوكـــــدُ
فـــارعَ الـــذمامَ وكـــنْ لضـــيفِكَ طالبـــاً
إنَّ الـــــذِّمامَ علـــــى الكـــــريم مؤيّـــــدُ

-انتهى-

المصادر و المراجع

١- الإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ابو بكر) - تاريخ بغداد مدينة السلام -ت- د. بشار عواد معروف-دار الغرب الاسلامي- ط١ – ٢٠٠١

٢- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(أبو العباس شمس الدين)- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق- د. إحسان عباس- دار صادر- بيروت-١٩٧٨

٣- أبو البقاء العكبري-التبيان في شرح الديوان- تحقيق-مصطفى السقا وآخرون- دار المعرفة-بيروت

٤- أبو العلاء المعري- رسالة الغفران ومعها نص رسالة ابن القارح-تحقيق- د. عائشة عبد الرحمن- دار المعارف- القاهرة- ط٩

٥- أبو العلاء المعري- معجز أحمد- تحقيق- د. عبد المجيد دياب- دار المعارف- القاهرة- ط٢-١٩٩٢

٦- أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي- البداية والنهاية- مكتبة المعارف- بيروت- ١٩٩٠

٧- تقي الدين المقريزي- المقفى الكبير - ت- محمد اليعلاوي- دار الغرب الاسلامي- ط١- ١٩٩١

٨- جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبه)- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب- دار الاندلس- النجف الاشرف- ١٩٨٨

٩- الخطيب التبريزي - شرح ديوان أبي تمام- ت- راجي الأسمر- دار الكتاب العربي، بيروت- ط٢- ١٩٩٤

١٠-ريجيس بلاشير- أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي- ترجمة د. إبراهيم الكيلاني- دار الفكر- دمشق- ط٢-١٩٨٥

١١-طه حسين (الدكتور) - مع المتنبي – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة- مصر-٢٠١٣

١٢-عبد الرحمن بن محمد بن(أبو البركات كمال الدين الأنباري)- نزهة الألباء في طبقات الأدباء- تحقيق- د. إبراهيم السامرائي- مكتبة المنار- الاردن- الزرقاء- ط٣-١٩٨٥

١٣-عبد العزيز الميمني الراجكوتي- زيادات شعر المتنبي- المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة- ١٩٢٦

١٤-عبد الغني الملاح- المتنبي يسترد أباه- المؤسسة العربية للدراسات والنشر-ط٢- ١٩٨٠

١٥-عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني(أبو القاسم)- الواضح في مشكلات شعر المتنبي- ت- الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور- منشورات الدار التونسية- تونس- ١٩٦٨

١٦-عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (أبو منصور الثعالبي النيسابوري) - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر- تحقيق- د. مفيد محمد قميمة- دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان-ط١-١٩٨٣

١٧-عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (أبو منصور الثعالبي النيسابوري- أبو الطيب المتنبي ماله وما عليه- تحقيق- محمد محي الدين عبد الحميد- مكتبة الحسن التجارية- القاهرة

١٨-عبد الوهاب عزام- في ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام- مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة- مصر-٢٠١٤

١٩-عثمان بن جني(أبو الفتح النحوي)- الفسر- تحقيق- د. رضا رجب- دار الينابيع- دمشق-ط١- ٢٠٠٤

٢٠-علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي- شرح الواحدي لديوان المتنبي- تحقيق- د. ياسين الأيوبي ود. قصي الحسين- دار الرائد العربي- بيروت-ط١-١٩٩٩

٢١-علي بن الحسين بن علي (الإمام أبو الحسن المسعودي)- مروج الذهب ومعادن الجوهر- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت-ط١-٢٠٠٥
٢٢-علي بن عبد العزيز(القاضي الجرجاني)- الوساطة بين المتنبي وخصومه- تحقيق- محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي- مطبعة عيسى البابي الحلبي- ١٩٦٦
٢٣-علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد(الإمام العلامة أبو الحسن الشيباني المعروف بابن الأثير)- الكامل في التاريخ- راجعه وصححه- د. محمد يوسف الدقاق- دار الكتب العلمية- بيروت-ط١- ١٩٨٧
٢٤-عمر بن أحمد بن أبي جرادة (الصاحب كمال الدين ابن النديم)- بغية الطلب في تاريخ حلب- تحقيق- د. سهيل زكار- دار الفكر- بيروت
٢٥-عمر بن أحمد بن هبة الله (كمال الدين أبو القاسم ابن العديم الحلبي- زبدة الحلب من تاريخ حلب - ت- خليل منصور- دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان- ١٩٩٦
٢٦-فريدرخ ديتريصي- ديوان أبي الطيب المتنبي وفي ثناياه شرح العلامة الواحدي- مطبعة برلين- ١٨٦١
٢٧-لويس ما سينيون- المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلامي- ت- د. إبراهيم عوض- مكتبة لسان العرب- مصر- ١٩٨٨
٢٨-محمد بن أحمد بن قايماز (الإمام أبي عبد الله الذهبي)- سير أعلام النبلاء- تحقيق- حسان عبد المنان- بيت الأفكار الدولية
٢٩-محمد بن الحسن (شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي)- كتاب الغيبة- تحقيق- عبد الله طهراني و علي أحمد ناصح- مؤسسة المعارف الإسلامية-إيران- قم-ط٣- ١٤٢٥هـ
٣٠-محمد بن عبد الملك الهمذاني- تاريخ الطبري- التكملة – ت- محمد أبو الفضل إبراهيم- دار سويدان- بيروت- لبنان

٣١-محمد بن علي بن بابويه القمي- كمال الدين وتمام النعمة- تحقيق- الأستاذ علي أكبر الغفاري- مؤسسة النشر الإسلامي- قم- ط٤-١٤٢٢هـ
٣٢-محمود محمد شاكر أبو فهر- كتاب المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا- مطبعة المدني- المؤسسة السعودية بمصر-١٩٨٧م
٣٣-ناصيف اليازجي- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب- مطبعة القديس جاورجيوس- بيروت-١٨٨٢
٣٤-ياقوت الحموي الرومي- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب- تحقيق- د. إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي-ط١-١٩٩٣
٣٥-يوسف البديعي- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي- تحقيق- مصطفى السقا وآخرون- ط٣- دار المعارف القاهرة

المحتويات

الإهداء ٥

المقدمة ٧

الفصل الأول : المتنبي في المصادر الأولى ٩

تمهيد ١٠

المتنبي نسبا ١٣

ولادته و نشأته ١٦

ولادته ١٦

نشأته ١٧

والدهُ ١٨

والدته وجدته ١٩

زوجه و ولده ٢٦

قبيلته ٢٨

شخصيته وعقيدته ٢٨

حساد المتنبي ومبغضيه ٣٢

منزلته الشعرية ٣٤

زُبْدَةُ المَخْضِ ٣٧

الفصل الثاني ٤٢

تمهيد ٤٣
المتنبي يسترد أباه للأستاذ عبد الغني الملاح ٤٥
المتنبي للأستاذ محمود محمد شاكر (أبو فهر) ٦٦
المستشرقان (بلاشير و ماسينيون) ٨١
أولاً: أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي للدكتور ريجيس بلاشير..... ٨١
ثانياً: المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي للدكتور لويس ما سينيون. ٩٢
فمالك تختار القسي وإنما عن السعد يرمي دونك الثقلان؟ ٩٤
مع المتنبي للدكتورطه حسين ٩٥
الفصل الثالث سيرة أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي ٩٩
توطئة ١٠٠
المبالغة المفرطة في مدائح المتنبي ١٠٠
مخطط حياة المتنبي ١١٢
أبو الطيب في الكوفة بين عامي ٣٠٣هـ و٣٢٠هـ ١١٢
أبو الطيب في الشام بين عامي ٣٢١هـ و ٣٢٥هـ ١١٦
المتنبي بين عامي ٣٢٦هـ و٣٣٦هـ ١٢٩
المتنبي بين عامي ٣٣٧هـ و ٣٥٤ هـ ١٤٩
المصادر و المراجع ١٦٥

أبو الطيب المتنبي
إشكالية النسب و السيرة

أنا الذي نَظَرَ الأَعْمى إلى أَدَبي
و أَسْمَعَتْ كَلِمَاتي مَنْ بِهِ صَمَمُ

و يبدو أن هذه (الأنا) التي امتلأ بها ديوانه ، هي أحدى مكونات شخصيته الإشكالية ، و هي انعكاس لمشاعر الإحباط التي واجهت طموحه الثوري الذي وئد في باكورة عنفوانه.

فراح محاولا تعويضه بثورة الكلمة وكرسي سلطانها، وقد تهيأ له ذلك بأفضل ما يكون، حتى غدا مطمع كل راغب بالشهرة و المجد من أمراء وملوك مغدقين عليه بالمال و الجاه، و عومل بما لم يعامل به شاعر من قبله ولا من بعده.

الورشة
دار للطباعة والنشر
بغداد - المتنبي - مجمع الفهد الجديد
07714343692
07729347084
alwarsha_books
9 789922 878416
تصميم الغلاف : سوسن كاظم الشويلي